تفريغ السلسلة الصادرة عن إذاعة البيان

فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ

الطبعة الأولى 1447 هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ سلسلة

ففروا إلى الله

الصادرة عن إذاعة البيان

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ

مؤسسة صرح الخلافة



مركز إنتاج الأنصار



الفهرس

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

لئن كان إعلامُ أهلِ الباطلِ يتمطَّى ويفتخر، يبثُّ شركَه بين الأنامِ ويسحرُ عقولَهم، وينشرُ بدعتَهُ بين البريَّة فيفسدُ عليهم دينَهم، ويخرقُ العادةَ -بلِ المروءةَ- بنشرِهِ مَا يدعو إلى الرَّذيلةِ ويقمعُ الفضيلة؛ فإنَّ إخوانَكُمْ في مؤسَّسةِ صرحِ الخلافةِ يبشِّرُونَكُمُ اليومَ بتفريغ السِّلسلةِ الوعظيَّة التَّربويَّة، التي تبيِّنُ للنَّاس ما يهمُّهم مِن أمر دينِهم ودنياهم، وتدعوهم إلى مكارمِ الأخلاق، وتحذِّرُهم مِن الورودِ على مواردِ الهلكة، والخوضِ في الغوايةِ والتَّبحُّرِ فيها، ألا إنَّها السِّلسلةُ الماتعة: "ففرُّوا إلى الله"، الصادرة عن إذاعة البيان، وهي من ١٨ حلقة، تمت مراجعتها نحويًّا ولغويًّا، وُجِّدت في السلسلة علامات التنصيص للآيات والأحاديث والأقوال كل على حسبه، ووحدت كذلك الألوان للآيات والأحاديث والأشعار كل على حسبه، وخُرِّجت الأحاديث النبوية.

فدونكُمْ هذه السِّلسلة، ارووا ظمأكُمْ منها، وزيدوا إيمانَكم بها، وأيقنوا أنَّ الأمَّة التي تحملُ في طيَّاتها أمثالَ هؤلاءِ الرِّجالِ الَّذين يعلِّمون النَّاس أمرَ دينهم، ويدعونَهُمْ باللِّسانِ والسِّنانِ إلى جنَّة ربِّهم؛ لن يخذلَهُمُ الله، ولينصرنَّهُمْ عاجلًا أم آجلًا بإذنِ الله.

نسأل الله الكريم أن ينفع ويبارك فيها.

إخوانكم في صرح الخلافة





مقدمة البرنامج

إذاعة البيان تقدِّم سلسلةً بعنوان: "ففرُّوا إلى الله"

الحلقة الأولى

الحمدُ لله ربِّ العالمين، إله الأوَّلين والآخرين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله النَّبيِّ الأمين، وعلى آله وأصحابه الطَّيبين الطَّاهرين، ومَن اتَّبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين؛ أمَّا بعد:

فقد روى الحاكمُ في مستدركِه وصحَّحه عن أبي هريرةَ -رضي الله عنه- قال: قرأ رسولُ الله ﷺ قوله تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢)} [سورة النصر]، فوقف وقال: (لَيُخْرِجَنَّ مِنْهُ أَفْوَاجًا كَمَا دَخَلُوا فِيهِ أَفْوَاجًا).

في هذا الحديث العظيم؛ يبيّن النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- خطورةَ الفتنِ والمحنِ التي تَعصِف بالأمَّة، ويبيِّن النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- أنَّ الأمَّة سترتدُّ على أدبارها على شكلِ أفواج، وعلى شكلِ قبائلَ ومدن وقرى، ويبيِّن النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- أنَّ الردَّة ستكونُ على شكلِ جماعاتٍ وطوائفَ طوائفَ!

ولهذا كلِّه أقولُ لكلِّ مسلمٍ ولكلِّ مسلمةٍ يسمعون هذا الكلام: أيُّها الإخوةُ الأكارم، ينبغي الحذرُ والتَّنبُّه إلى هذه الفتنِ العظيمةِ التي تَعصِف بأمَّة النبيِّ ﷺ، انظروا حولكم، كيف يرتدُّ الناسُ آلافًا آلافًا بالعلمانيَّة والدِّيمقراطيَّة والبعثيَّة والليبراليَّة والشُّيوعيَّة، لقد رأى إخوانُكم المجاهدون في سبيل الله -عز وجل- في هذا الجهادِ المباركِ صدقَ قولِ النبيِّ -عليه الصلاة والسلام- في هذا الحديث، فكلَّما دخلتْ كتائبُ المجاهدين إلى قريةٍ أو مدينةٍ أو منطقةٍ تسكنُ فيها إحدى القبائل؛ نرى بأمِّ أعيننا كيف ترتدُّ القبيلة، وكيف ترتدُّ المدينة، وكيف ترتدُّ القرية إلَّا ما رحم الله -عز وجل-.

ولربَّ سائلٍ يسألُ فيقول: كيف أثبت، وكيف أنجو في هذه الفتنِ العظيمة التي أخبر عنها النبيُّ -عليه الصلاة والسلام-، وكيف أضمنُ لنفسي أن لا أرتدَّ على عقبي، وكيف أضمنُ لنفسي أن لا أقعَ فيما يُغضِب اللهَ عز وجل؟

أقول: والله المستعان، لا سبيلَ إلى النَّجاة إلَّا سبيلٌ واحد، وهو تحقيقُ التَّوحيد الذي هو حقُّ الله على العبيد، نعم؛ بتحقيق التَّوحيد تثبتُ وتنجو وتفوز في الدُّنيا والآخرة، بتحقيقِ التَّوحيد الذي افترضه الله -عز وجل- على كلِّ خلقه على الثَّقلين مِن الإنسِ والجنِّ؛ فقال سبحانه: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)} [سورة الطور].

بيَّن الله -عز وجل- أنَّه ما خلق الجنَّ والإنسَ لأيِّ شيءٍ إلَّا لشيءٍ واحد؛ وهو قوله: {إلَّا ليعبدون} قال ابنُ عبَّاس -رضي الله عنهما-: "أي: إلَّا لِيُوَحِّدُونِ".

لقد أمر اللهُ -عز وجل- بالتَّوحيد في أوَّل أمرٍ أمرَ به في القرآنِ الكريم؛ فقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١)} [سورة البقرة].

لقد أمر اللهُ -عز وجل- في آياتٍ كثيراتٍ عظيماتٍ مباركاتٍ بالتَّوحيد؛ فقال: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} [سورة النساء:٣٦]، وقال: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} [سورة الأنعام:١٥١]، وقال: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [الإسراء: ٢٣]، وقال: {وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (١٦٣)} [سورة البقرة]، وقال: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)} [سورة البقرة].

أخي في الله، أختي في الله، بتعلُّم التَّوحيدِ وتحقيق التَّوحيد ننجو جميعًا، التَّوحيد الذي أرسل اللهُ -عز وجل- به كلَّ الرُّسلِ والأنبياءِ؛ فقال سبحانه: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [سورة النحل: ٣٦].

التَّوحيد الذي وعد اللهُ -عز وجل- مَن يحقِّقه بالنَّجاة مِن العذابِ يوم القيامة؛ فعن معاذِ بنِ جبلٍ -رضي الله عنه- قال: "كنتُ رديفَ رسولِ الله ﷺ على حمار، فقال: (يا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ على عِبَادِهِ، وَما حَقُّ العِبَادِ على اللَّهِ؟)، قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلمُ، قال: (فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ على العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ على اللَّهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ

مَنْ لا يُشْـرِكُ بِـهِ شَيْئًا)، قلتُ: أفلا أبشِّـرُ النَّـاس؟ قـال: (لا تُبَشِّـرْهُمْ فَيَتَّكِلُـوا)"، [رواه الشَّيخان].

في هذا الحديثِ العظيم؛ جعل الله -عز وجل- إنجاءَ المؤمنين يومَ القيامة مِن العذابِ حقًّا على نفسه؛ تفضُّلًا منه وتكرُّمًا على خلقه؛ فخلقُه لا يوجبون عليه شيئًا، ولا يَفرِضُون عليه شيئًا، وهو يُوجِب على نفسه ما شاء، ويُحرِّم على نفسِه ما شاء، فجعل نجاةَ المؤمنين وإنجاءَهم يومَ القيامة مِن العذابِ بتوحيدهم لله -عز وجل-، جعل هذا حقًّا على نفسه -سبحانه وتعالى-.

أخي في الله، أختي في الله، اسمعوا إلى النبيِّ -عليه الصلاة والسلام- ماذا يقول، جاء عن عبادةَ بنِ الصَّامتِ -رضي الله عنه- أنَّه قال: قال رسولُ الله ﷺ: (مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، والْجَنَّة حَقٌّ، والنَّار حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى ما كانَ مِنَ الْعَمَلِ)، [رواه الشَّيخان].

أخي في الله، أختي في الله، إنَّ هذا التَّوحيدَ العظيمَ ليس مجرَّد كلماتٍ ولا شعاراتٍ ولا ألفاظٍ يردِّدها الإنسانُ، كلَّا وألف كلا! بل هو أمرٌ عظيم، بل هو كلامٌ له معنى، ومعنى له مقتضى، يجب الالتزامُ به قولًا وعملًا ظاهرًا وباطنًا، في كلِّ حالٍ وفي كلِّ وقتٍ وحين.

هذا التَّوحيدُ الذي أُرسِلتْ به جميعُ الرُّسل، وكانتِ الخصومةُ بينهم وبين أقوامهم فيه، هذا التَّوحيدُ الذي كانتِ الخصومةُ بين النبيِّ -عليه الصلاة والسلام- وبين مشركي قريشٍ ومَن بعدَهم مِن القبائل فيه؛ إنَّه توحيد الألوهيَّة، إنَّه إفرادُ الله -عز وجل- بالعبادة.

فالتَّوحيدُ -كما تعلمون أيُّها الأحبَّة- ينقسمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ: توحيدُ الله -عز وجل- بربوبيَّته، وتوحيدُ الله -عز وجل- بألوهيَّته، وتوحيدُ الله -عز وجل- بأسمائه وصفاته.

من حقَّق الثَّلاثةَ مجتمعةً فهو الموحِّد، فهو الذي وعده الله -عز وجل- بمغفرةِ الذُّنوبِ والنَّجاةِ مِن العذاب يومَ القيامة، ودخولِ الجنَّة مِن غير حسابٍ ولا سابقِ عذاب، مَن

حقَّق الثَّلاثة مجتمعة، وأمَّا مَن حقَّق الأوَّل فقط، أو الثَّانيَ فقط، أو الثَّالثَ فقط؛ فليس مِن الموحِّدين.

لقد حقَّق المشركون الأوائلُ توحيدَ الربوبيَّة، فكانوا يؤمنون بأنَّ الله -عز وجل- واحدٌ في الخلق والرِّزق والإحياء والإماتة والنَّفع والضرِّ، ولكنَّهم لم يكونوا يُفرِدون الله -عز وجل- بصرفِ عباداتهم له، بل كانوا يصرفونها للجنِّ والإنسِ والشَّياطينِ والأشجارِ والأحجارِ والكواكبِ والسَّحرةِ والأنبياءِ والصَّالحين.

فاستحل الأنبياءُ دماءهم وقاتلوهم، واستحلَّ النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- دماءَ مشركي قريشٍ مع أنَّهم كانوا يؤمنون بأنَّ اللهَ الخالقُ، وأنَّ الله هو الرَّازق، ولكنَّهم كانوا يَصرِفون العبادةَ للأوثانِ في الرَّخاء، ويتوجَّهون إلى عبادة الواحد الدَّيان في الشِّدَّة، ومع هذا لم يعذرهم رسولُ الله ﷺ، بل كفَّرهم وقاتلهم.

لذا يتبيَّن للكلِّ أنَّ التَّوحيدَ الذي يريده الله -عز وجل- مِن الإنسِ والجنِّ:

أوَّلًا: إفرادُه -سبحانه وتعالى- بالخلقِ والرِّزقِ والإحياءِ والإماتةِ والتَّشريع، وهذا هو توحيد الرُّبوبيَّة، والدَّليلُ عليه قولُ الله -عز وجل-: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)} [سورة الفاتحة].

والقسمُ الثَّاني الذي يريده الله -عز وجل-؛ توحيدُ الإلهيَّة، وهو إفرادُ الله -عز وجل- بأفعالِ العبيد، إفرادُ الله -عز وجل- بالعبادة التي عرَّفها شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية -عليه رحمة الله- في مقدِّمة كتابه العبوديَّة فقال: "العبادةُ هي اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه الله ويرضاه مِن الأقوالِ والأعمالِ الظَّاهرةِ والباطنة".

هذه هي العبادة: الصَّلاةُ والحكمُ والقضاءُ والتَّشريعُ، الزَّكاةُ والدُّعاءُ والنَّذرُ والذَّبحُ، الصِّيامُ والاستغاثةُ والاستعانةُ، الحجُّ والرَّغبةُ والرَّهبةُ والإنابةُ والتَّسليمُ.

هذه هي العباداتُ التي يريدها الله -عز وجل- مِن خلقه، هذه هي العباداتُ وغيرها الَّتي ينبغي أن تُصرَفَ لله وحدَه لا شريكَ له، والدَّليلُ على هذا القسم قولُه تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)} [سورة الفاتحة]، وقولُه سبحانه: {وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (١٦٢)} [سورة البقرة].

والقسمُ الثَّالثُ الذي يريده الله -عز وجل- مِن الإنسِ والجنّ؛ توحيدُ الله -عز وجل- بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا، بإثباتِ كلِّ اسمٍ أثبته لنفسه في كتابه وفي سنَّة نبيِّه -عليه الصلاة والسلام- وبإثباتِ كلِّ صفةٍ أثبتها الله -عز وجل- لنفسه في كتابه أو في سنَّة نبيّه -عليه الصلاة والسلام-، ونفي الضِّدِّ والمثيلِ والكُفءِ والشَّبيه؛ فالله -عز وجل-: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)} [سورة الشورى].

هذه الأقسامُ الثَّلاثة: توحيدُ الرُّبوبيَّة، وتوحيدُ الإلهيَّة، وتوحيدُ الأسماءِ والصِّفات؛ مَن حقَّقها مجتمعةً فقد حقَّق "لا إله إلا الله"، وكان مِن أهلِ "لا إله إلا الله" الذين وعدهم اللهُ -عز وجل- بالنَّصر والتَّمكين في الدُّنيا، وبالنَّجاةِ والفوزِ يومَ القيامة، وبدخولِ الجنانِ التي أعدَّ فيها مَا لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ.

مَن حقَّق هذه الثَّلاثةَ؛ فهو الذي سيشفعُ له النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- يومَ القيامة؛ فالنبيُّ لا يشفعُ إلَّا للمُوحِّدين، النبيُّ لا يشفعُ للمشركين، لا يشفعُ إلَّا لمن حقَّق التَّوحيد.

بقي سؤالٌ مهمٌّ: كيف أتعلَّم التَّوحيد؟ ولِمَ أتعلَّمُ التَّوحيد؟ وممَّن أتعلَّم التَّوحيد؟

أمَّا الأوَّل: فكيف أتعلَّم التَّوحيد؟ تتعلَّمُه أخي وتتعلَّمينه أختي مِن خلال كتابِ الله -عز وجل- ومن خلال سنَّة النبيِّ -عليه الصلاة والسلام-.

وأمَّا السُّؤال الثَّاني: فلِمَ أتعلَّم التَّوحيد؟ فالجواب: لنحقِّقَه وننجوَ مِن ضدِّه وهو الشِّرك، فالجواب: لنكونَ مِن المنصورين الممكَّنين المُظفَّرين في الدُّنيا، ونكونَ ممَّن ينجون مِن عذاب القبر، وممَّن يعبرون على الصِّراط، وممَّن ينجون مِن النَّار، وممَّن يدخلون جنَّة الله -عز وجل- الذي قال سبحانه: {فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ} [سورة آل عمران: ١٨٥]، هذه الزَّحزحةُ وهذا الدُّخولُ لن يكون إلَّا بالتَّوحيد.

والسُّؤال الأهمُّ بعد هذا: ممَّن أتعلَّم التَّوحيد؟ لا يمكن أن تتعلَّم التَّوحيدَ إلَّا مِن خلال العلماءِ الثِّقات علماءِ المسلمين، الذين عَرَفُوا التَّوحيدَ كما عرفه الأنبياءُ والمرسلون، والذين حقَّقوا التَّوحيدَ كما حقَّقه الأنبياءُ والمرسلون.

لا بدَّ أن تتعلَّم التَّوحيد مِن خلال الثِّقات، وليس مِن خلال علماءِ الطَّواغيتِ المرتدِّين، لا بدَّ أن تتعلَّم التَّوحيد ممَّن آمن بالكتابِ كلِّه، وممَّن آمن بالسُّنة كلِّها، ولا تتعلَّم التَّوحيدَ ممَّن آمن ببعضِ الكتابِ وكفر ببعضٍ، وممَّن آمن ببعضِ السُّنة وكفر ببعضٍ.

هذه علامةُ العالمِ الثِّقة؛ أنَّه يعمل بالكتابِ كلِّه ويعملُ بالسُّنة كلِّها، وهذه أيضًا علامةُ عالمِ السُّوء بضدِّها، فإذا كان العالمُ يعملُ ببعض الكتابِ ولا يعملُ ببعضٍ، ويعملُ ببعض السُّنة ولا يعملُ ببعضٍ؛ فاعلمْ واعلمي أنَّه عالمُ سوءٍ لا يُؤتمَن على الدِّين، ولا يؤخذ منه دينُ الله -عز وجل- ولا يؤخذ منه التَّوحيد.

انظرْ وانظري إلى علماءِ الطَّواغيتِ المرتدِّين، يأخذون بأحكام القرآن والسُّنة في الصَّلاة والصِّيام والحجِّ والصَّدقات والإنفاق، ولا يأخذون بكتابِ الله -عز وجل- ولا بسنَّة رسوله ﷺ في تكفير الطَّواغيت، ولا في تكفير الكفَّار والمرتدِّين، ولا في جهادهم وقراعِهم بالسَّيف والسِّنان واللِّسان.

ولا يأخذون به في الولاءِ والبراء، بل يأخذون بالكتاب والسُّنة فيما اشتهوا وأحبُّوا، ويتركون الكتاب والسُّنة فيما كرهوا وأبغضوا وكان شاقًّا عليهم، هذه علامةُ علماءِ السُّوء.

وانظرْ إلى علماءِ المجاهدين الثِّقات، انظرْ إلى الشَّيخ أبي مالك التَّميميِّ -تقبله الله-، إلى الشَّيخ أبي محمَّد العدنانيِّ -تقبله الله-، إلى الشَّيخ أبي عليٍّ الأنباريِّ العراقيِّ -رحمه الله تعالى-.

انظرْ وانظري إليهم: كيف أخذوا بالكتابِ كلِّه، كيف أخذوا بالسُّنة كلِّها، كيف أخذوا بهما في التَّوحيد وفي الولاءِ والبراءِ وفي الكفرِ بالطَّاغوت، كيف أخذوا بالقرآنِ والسُّنة في الصَّلاة والزَّكاة والصِّيام والحجِّ والجهادِ والصَّدقات، كيف أخذوا بالكتاب والسُّنة في

الهدي الظَّاهر، كيف أخذوا بالكتاب والسُّنة في كلِّ أمورهم وشؤونهم، في كلِّ أحوالهم، في كلِّ أقوالهم وأعمالهم، لم؟ لأنَّهم علماءُ على نهج النبي -عليه الصلاة والسلام-؛ لأنَّ العلماءَ هم ورثة الأنبياء، والأنبياءُ لم يُورِّثوا دينارًا ولا درهمًا.

إذًا أخي وأختي؛ تعلَّموا التَّوحيدَ مِن خلالِ الكتاب والسُّنة، وليكنْ تعلُّمكم للتَّوحيد مِن أجلِ تحقيقه والفوزِ بثوابه يومَ القيامة، وليكنْ تعلُّمكم وتلقِّيكم للتَّوحيد مِن خلالِ علماءِ المسلمين الثِّقات، علماءِ المجاهدين في سبيل الله، وأئمَّة المسلمين:

كشيخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ -عليه رحمة الله- والإمامِ أحمدَ بنِ حنبل -عليه رحمة الله- والإمامِ سفيانَ الثَّوريِّ -عليه رحمة الله- وابنِ خزيمةَ -رحمه الله- والخلَّالِ -رحمه الله- وابنِ بطَّةَ -رحمه الله-.

وإنْ أردتم مختصرًا في تعلُّم التَّوحيد وميسَّرًا فيه؛ فدونكم جميع كتبِ ومؤلَّفاتِ ورسائلِ الإمامِ المجدِّد أبي عبد الله محمَّدِ بن عبد الوهَّاب -عليه رحمة الله- وجزاه الله عن الأمَّة خيرَ الجزاء.

أسأل اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيم أن يرزقَني وإيَّاكم جميعًا تعلُّمَ التَّوحيدِ والعملَ به وتحقيقَه والفوزَ بثوابه يومَ القيامة؛ إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

الحلقة الثانية

الحمد لله ربِّ العالمين، إله الأوَّلين والآخرين، وصلى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله النَّبيِّ الأمين، وعلى آله وأصحابه الطَّيبين الطَّاهرين، ومَن اتَّبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين؛ أمَّا بعد:

نداءٌ إلى كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ تهاونوا في أداء الصَّلاة؛ فهذه رسالةٌ سأذكِّر فيها نفسي وإيَّاكم بمنزلة هذه الصَّلاة عند الله -عز وجل-.

إنَّ منزلة الصَّلاة عند الله -سبحانه وتعالى- منزلةٌ عظيمة، ومِن عظيمِ شأنِ الصَّلاة أنَّ الله -عز وجل- ما فرضها في الأرض بل فرضها فوق السَّماء السَّابعة، عندما عُرِجَ بالنبيِّ -عليه الصلاة والسلام- وبلغ سدرةَ المنتهى، وكلَّم اللهَ -عز وجل- مِن غير ترجمان، كلَّم اللهَ -عز وجل- مِن وراء حجاب، ففرض الله -عز وجل- عليه خمسين صلاة.

ثم راجع النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- ربَّه بعد أن نصحه موسى -عليه الصلاة والسلام- وبيَّن له أنَّه عانى ما عانى مع بني إسرائيل، وأخبره بأنَّ الأمَّة لن تطيق ذلك، فراجع ربَّه -عز وجل- حتَّى جعلها خمسَ صلواتٍ بأجر خمسين صلاةً.

مِن عظيمِ شأن الصَّلاة أنَّها هي الوحيدةُ التي فُرِضَت في مكَّة، وما عداها مِن الفرائضِ فَفُرِضَ في المدينة.

مِن عظيمِ شأن الصَّلاة أنَّ الأنبياء والمرسلين كلَّهم أُمِروا بها؛ قال الله -عز وجل- حكايةً عن إبراهيمَ -عليه وعلى نبيِّنا أفضلُ الصَّلاة وأزكى السَّلام-: {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي} [سورة إبراهيم: ٤٠].

وقال حكايةً عن إسماعيل: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥)} [سورة مريم].

وقال حكايةً عن موسى: {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤)} [سورة طه].

وقال حكايةً عن عيسى: {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١)} [سورة مريم].

وقال حكايةً عن نبيّنا -عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام-: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَاۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًاۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٢)} [سورة طه].

مِن عظيمِ منزلة الصَّلاة عند الله -عز وجل- أنَّه حكم على تاركها بالكفر؛ وصحَّ عن نبيّنا -عليه الصلاة والسلام- أنَّه قال: (العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ)[١]، وصحَّ عنه أنَّه -عليه الصلاة والسلام- قال: (بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ)[٢].

مِن عظيمِ شأن الصَّلاة أنَّ الله -عز وجل- جعلها علامةَ المؤمنين فقال: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣)} [سورة الأنفال].

إنَّ الصَّلاة عند الله عظيمة، وما سمّيتِ الصَّلاةُ بالصَّلاة إلَّا لأنَّها تصل العبدَ بربِّه -سبحانه وتعالى-؛ جاء في صحيحِ مسلمٍ أنَّ النبيَّ -عليه الصلاة والسلام- قال في الحديث القدسيّ: (قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ).

---

[١] رواه ابن ماجه والترمذي، والنسائي في الكبرى، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

[٢] رواه مسلم.

انظرْ إلى عظيمِ شأنِها أخي في الله؛ إنَّ الصَّلاة نورٌ وضياءٌ وبرهانٌ في الدُّنيا والآخرة للمصلِّين، إنَّ الله -عز وجل- حذَّر وتوعَّد فقال سبحانه: {فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥)} [سورة الماعون].

إنَّ الله -عز وجل- جعل هذه الصَّلاةَ الطَّيبةَ سببًا لسعادة الإنسان في الدُّنيا والآخرة، سببًا لراحته في الدُّنيا والآخرة؛ كان النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- إذا أصابه همٌّ أو غمٌّ وجاء وقتُ الصَّلاة؛ قال لبلالٍ -رضي الله عنه وأرضاه-: (أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلَالُ)[١].

صحَّ عن نبيِّنا -عليه الصلاة والسلام- أنَّه قال: (حُبِّبَ إِلَيَّ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ)[٢]، إنَّ الصَّلاة عظيمة يا عبدَ الله، إنَّ الصَّلاة عظيمة يا أمةَ الله؛ لذلك كانت وصيَّةُ النبيِّ -عليه الصلاة والسلام- في آخرِ لحظاته وهو في سكراتِ الموت؛ أن قال: (الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)[٣].

نعم، "الصَّلاةَ الصلاةَ"؛ هذه الكلمةُ الطَّيبةُ والتي لا تسمعها إلا في الدَّار التي تحكمها دولةُ الإسلام، عندما يأتي الإخوةُ النُّبلاءُ الفضلاءُ المحتسبون في سبيل الله -عز وجل-، عندما يحين وقتُ أداءِ الصَّلاة؛ تسمعُ المحتسبين يلهجون بقولهم: "الصَّلاةَ الصَّلاةَ يا عبادَ الله".

نعم، الصَّلاةَ الصَّلاةَ يا عبادَ الله، يا مَن تشكو من الهمومِ، وتشكو من الغموم، وتشكو مِن ضيقِ العيش؛ أقبلْ إلى المساجد، يا مَن تشكو من كثرةِ الذُّنوب وكثرةِ المعاصي؛ أقبلْ إلى المساجد، يا مَن أصابتْكَ الأمراضُ وأصابتْكَ البلايا والمحن؛ أقبلْ إلى المساجد، أقبلْ إلى

---

[١] رواه الطبراني في الكبير، قال الهيثمي في المجمع: فيه أبو حمزة الثمالي، وهو ضعيف، واهي الحديث. ورواه الدارقطني في العلل ورواه بنحوه أبو داود، قال الحافظ العراقي: إسناده صحيح.

[٢] رواه أحمد، والنسائي، وصححه الحاكم، وابن الملقن في البدر المنير، وضعفه العقيلي في الضعفاء بسلام أبي المنذر، والبيهقي في السنن الكبرى، ورجح الدارقطني إرساله في العلل.

[٣] رواه أحمد، قال الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه. ورواه الطبري في التهذيب والنسائي وابن ماجه.

بيتِ الله -عز وجل- وادخلْ برجلكَ اليمنى وقلْ: (بِسْمِ اللَّهِ، وَالصَّلَاةُ[١] وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ[٢]، اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ[٣]).

وتأمَّل في هذا الدُّعاء العظيم: (اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ)، فإنْ دخلتَ إلى بيت الله -عز وجل-؛ آواك وأكرمك وأحلَّ عليك رضاه وأحلَّ عليك رحمتَه، ونزلتْ عليك السَّكينة، وغشيتك الرَّحمة، واستمرَّتِ الملائكةُ تدعو لك مَا دمتَ في المسجد، هذه الفضائلُ كلُّها إنْ أقبلتَ على بيت الله.

والله مَا أقبلَ مهمومٌ ولا مغمومٌ ولا محزونٌ على بيتِ الله -عز وجل-، فتوضَّأ ودخل إلى المسجد وصلَّى ركعتين إلَّا أبدلَ اللهُ حزنَهُ فرحًا، وأبدل اللهُ -عز وجل- ضيقَ صدرِهِ سعةً، وأبدلَ اللهُ -عز وجل- حاجتَهُ إلى بركةٍ ورحمةٍ.

أخي في الله، أقبلْ على بيتِ الله -عز وجل-، ولا يخدعنَّك الشَّيطان، ولا يُلْهِيَنَّك الشَّيطان، ولا يهزمنَّك الشَّيطان، أقبلْ على بيت الله -عز وجل-؛ يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: (أرأيتمْ إنْ كان ببابِ أحدِكم نهرٌ يغتسلُ منه كلَّ يومٍ خمسَ مرَّات، أيبقي ذلك مِن درنه -نتنه- شيئًا؟) قلنا: "لا، يا رسول الله"، قال: (فذلك مَثَلُ الصَّلواتِ الخمسِ)[٤].

يقول النبيُّ -عليه الصلاة والسلام-: (أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ [...] إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ)[٥].

---

١ رواه ابن السني.

٢ رواه أبو داود.

٣ رواه مسلم.

٤ متفق عليه. ذكره المتحدث بالمعنى.

٥ رواه مسلم.

يقول النبيُّ -عليه الصلاة والسلام-: (بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[١]، ويقول النبيُّ -عليه الصلاة والسلام-: (من صلَّى الفجرَ في جماعةٍ؛ كان في ذمَّة الله حتَّى يمسي)[٢].

أخي في الله، أقبلْ إلى بيت الله -عز وجل-، أقبلْ إلى بيتِ الرَّحمن، وقفْ بين يديِ الله -عز وجل-، وحقّقْ ما قاله أحد السَّلفِ -عليه رحمة الله- يقول: "أنا إذا وقفتُ للصَّلاة؛ أجعل الكعبةَ بين عينيَّ، وأجعلُ القبرَ خلفي، وأجعلُ الجنَّةَ عن يميني، والنَّارَ عن شمالي، والله مطَّلعٌ عليَّ، وأؤدِّي ركوعَها وسجودَها وخشوعَها، ولا أدري أقُبِلَت أم لم تُقبَل؟!"

أخي في الله، هذه الصَّلاةُ تصلك بالله، هذه الصَّلاة هي سببُ تفريجِ الهمومِ وتنفيسِ الكروبِ وسترِ العيوب، وحطِّ الخطايا ومغفرةِ الذُّنوب، هذه الصَّلاة العظيمة هي سببٌ لدخولِ جنَّة الله -عز وجل-؛ ولذلك أعدَّ الله -سبحانه وتعالى- بابًا خاصًّا للمصلّين يدخل منه المصلُّون إلى جنَّة الله -سبحانه وتعالى-.

أقبلْ على بيت الله -عز وجل-، وصلِّ في بيت الله، وبُثَّ إلى الله همومَك، وبثَّ إلى الله أحزانَك، واشتكِ إلى الله ما تعانيه وما تجده في ضيقٍ في العيشِ أو في الصَّدر، وما تجده مِن جفاءٍ وغلظةٍ من خلق الله -سبحانه وتعالى-، بثَّ إلى الله في بيت الله كلَّ ما تجده، ووالله الَّذي لا إلهَ غيرُه، ليُبدِّلنَّ اللهُ -عز وجل- حالَك مِن أسوأ حالٍ إلى أحسنِ حال؛ إنَّه على ذلك قدير.

أخي وأختي في الله، حافظوا على الصَّلوات، وإيَّاكم ثمَّ إيَّاكم مِن ترك الصَّلاة؛ فتركها كفرٌ وردَّة، وإيَّاكم وإيَّاكم مِن التَّهاونِ في أداءِ الصَّلاة وتأخيرِها عن وقتها.

إن الشيطان ينصب لكم المصائد وينصب لكم الفخاخ، ويسول لكم، ويوسوس لكم لتؤخروا الصلاة عن وقتها، ألا فليعلم كل من يؤخر الصلاة عن وقتها أن هذه قنطرة لترك الصلاة.

---

[١] رواه أبو داود والترمذي، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

[٢] لم يروه أحد بهذا اللفظ، وأصل الحديث عند مسلم: "مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ، فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ" وروى الطبراني في الكبير: "مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ كَانَ فِي جِوَارِ اللهِ يَوْمَهُ"، وفي الأوسط: "مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ حَتَّى يُمْسِيَ".

يبدأ الشَّيطانُ معكم تدريجيًّا بالتَّهاون في أدائها في المسجد، ثمَّ يبدأ تدريجيًّا معكم بتأخيرها عن وقتها وأدائها في البيت، ثمَّ يوصلكم إلى القنطرة الأخيرة، وهي الَّتي تعبرون منها إلى الكفر والردَّة، وهي تركُ الصَّلاة -والعياذ بالله-.

أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يُقبِلَ بقلبِ كلِّ مَن يسمعُ هذه الكلماتِ إلى بيت الله -سبحانه وتعالى-.

أخي في الله، إذا سمعتَ المؤذِّنَ يقول: "حيَّ على الصَّلاة": فاتركْ كلَّ مَا في يدك مِن عمل، واعلم أنَّ هذه الدُّنيا فانية، وأنَّ هذه الدُّنيا زائلة، وأنَّها مهما كبرت فهي صغيرة، ومهما عظمت في عينك فهي حقيرة.

وأقبلْ على الصَّلاة، مفتاح دارِ الآخرة، مفتاح السَّعادة، أقبلْ على الصَّلاة، واتركِ الدُّنيا وشؤونَ الدُّنيا، أقبلْ على الآخرة والطَّمعِ في ثوابها وجزائها العظيم؛ فالآخرةُ باقية، والآخرةُ دائمة، والآخرةُ لا تَفنَى ولا يفنى أهلُها؛ يقولُ النبيُّ -عليه الصلاة والسلام-: (مَنْ كَانَتِ الدُّنيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ)[١].

فأقبلوا إلى الصَّلاة، وحافظوا على الصَّلاة، وابتغوا بها الصِّلةَ مع الله -سبحانه وتعالى-، وابتغوا بها الدَّار الآخرة.

ثمَّ بعد هذا الكلام؛ أنصحُ كلَّ مسلمٍ سمعَ وكلَّ مسلمةٍ سمعتْ هذا الكلامَ أن يعملوا بقول النبيِّ -عليه الصلاة والسلام-: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)[٢].

أيَّتها المسلمة، بلِّغي هذا الكلامَ لكلِّ مسلمةٍ ترينَها في بيتكِ أو في بيتها أو عندَ زيارتها أو في كلِّ مكان.

أيُّها المسلم، يا مَن سمعتَ هذا الكلامَ، بلِّغه لكلِّ مسلمٍ تراه في الطَّريق أو في العمل، عندما تَقدُمُ إلى المسجدِ إلى بيتِ الله -سبحانه وتعالى-، ادعُ إلى الله كلَّ رجلٍ تراه في الطَّريق،

[١] رواه ابن ماجه والطبراني من طريق زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال الهيثمي في الزوائد: رواته ثقات. ورواه الترمذي من طريق أنس رضي الله عنه.

[٢] رواه البخاري.

قل له: هيَّا بنا إلى المسجد، أقبلْ -أخي- إلى المسجد، انطلقْ -أخي- إلى بيتِ الله؛ لتكونَ ممَّن يفوزون بقولِ الله -عز وجل-: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)} [سورة فصلت].

أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يجعلني وإيَّاكم جميعًا مِن الهداةِ المهتدين، ومِن الصَّالحين المصلحين؛ إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

الحلقة الثالثة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، إله الأوَّلين والآخرين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله النبيِّ الأمين، وعلى آله وأصحابه الطَّيبين الطَّاهرين، ومن اتَّبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين؛ أمَّا بعد:

حديثي إليكم عن الدُّعاء، وأوَّلُ ما أبدأ الحديثَ عن الدُّعاء بحديثِ النبيِّ -عليه الصلاة والسلام- الذي رواه أبو داودَ في سننه، قال -عليه الصلاة والسلام-: (الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ)[١].

وها هنا وقفةٌ عظيمةٌ جدًّا مع الدُّعاء: ينبغي أن تفهمَ أخي في الله، وأن تفهمي أختي في الله؛ أنَّ الدُّعاءَ إذا كان عبادةً؛ فالله -عز وجل- لا يقبله منكمْ إلَّا إذا كان خالصًا لوجهه الكريم، وإذا كان على سنَّة نبيِّه -عليه الصلاة والسلام-.

فالدُّعاءُ عبادةٌ كسائرِ العبادات، لا يقبلها اللهُ -عز وجل- مِن عباده إلَّا بشرطين، وهما: الإخلاصُ لله -عز وجل-، واتِّباعُ سنَّة نبيِّه -عليه الصلاة والسلام-.

هذا أمرٌ معروفٌ لدى الجميع، ولكنَّ الذي أردتُ أن أنبِّهَ عليه؛ ينبغي أن نصرفَ عبادةَ الدُّعاءِ لله -عز وجل- في الرَّخاء والشِّدَّة، وهذه هي سنَّةُ نبيِّنا -عليه الصلاة والسلام-، كان نبيُّنا -عليه الصلاة والسلام- يدعو اللهَ -عز وجل- بخيري الدُّنيا والآخرةِ في الرَّخاء والشِّدَّة، وليس كما هو جارٍ اليومَ عند أغلبِ المسلمين والمسلمات؛ أنَّهم ينسون الدُّعاءَ ويغفلون عنِ الدُّعاء، ولا يُذكِّرهم بالدُّعاء إلا الشِّدَّةُ.

ثمَّ بعد هذا يقول اللهُ -سبحانه وتعالى-: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)} [سورة غافر].

---

[١] ورواه الترمذي وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وأذكرُ لكم لطيفةً مِن اللَّطائف: إنَّ اللهَ -عز وجل- جعل نبيَّه -عليه الصلاة والسلام- واسطةً بينه وبين خلقِه في الأحكام الشَّرعيَّة، كما في قوله: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِۖقُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ} [سورة البقرة: ١٨٩]، وكما في قوله: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِۖقُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ} [سورة الأنفال: ١]، وكما في قوله: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰۖقُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ} [سورة البقرة: ٢٢٠]، وكما في قوله: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِۖقُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ} [سورة البقرة: ٢٢٢]، وكما في قوله -سبحانه وتعالى-: {وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ} [سورة البقرة: ٢١٩].

إلَّا في الدُّعاء؛ فالدُّعاءُ عبادة، وفي العبادةِ لا تُوجَدُ واسطةٌ بين الله وبين خلقِه ولو كانتْ رسولَ الله ﷺ كما في قوله: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ} ولم يقل: "فقُل: إنّي قريب"! لا، {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖأُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖفَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)} [سورة البقرة].

هذه لطيفةٌ مِن اللَّطائف؛ حتَّى تعلم -يا عبد الله- عظمةَ التَّوحيد، وحتَّى تعلم -يا عبد الله- خطورةَ الشِّرك والتَّنديد، والعياذُ بالله، وحتَّى تعلم -يا عبد الله، ويا أمة الله- عظمة الدُّعاء، وقربَ الله -عز وجل- مِن عبادِه بإجابتِه لدعائهم.

إنَّ الله -سبحانه وتعالى- يستحي أن يَرُدَّ الدَّاعين؛ جاء في صحيح مسلمٍ[١] أنَّ النبيَّ -عليه الصلاة والسلام- قال: (إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ)[٢].

أخي في الله وأختي في الله، إنْ أصابكم فقرٌ أو أصابكم مرضٌ أو أصابكم همٌّ أو غمٌّ أو حزنٌ أو أيُّ مشكلةٍ أو ملمَّةٍ أو محنةٍ أو فتنةٍ؛ فالجؤوا إلى الله -عز وجل-، واسألوا الله -سبحانه وتعالى- أن يفرِّجَ عنكم ما أنتم فيه، اسألوا الله -عز وجل- أن يدفعَ عنكم الضُّرَّ، وأن يجلبَ لكم نفعَ الدُّنيا والآخرة، {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ}.

---

[١] الصواب أن مسلمًا لم يروِ هذا الحديث.

[٢] رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديثٌ حسنٌ غَرِيبٌ، وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ وَلَمْ يَرْفَعْهُ.

ربِّي -سبحانه وتعالى- بيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ، وهو قادرٌ على كلِّ شيءٍ، إنَّ الله -عز وجل- إذا أراد شيئًا، فإنَّما يقولُ له: {كُن فَيَكُونُ}.

ولكنْ أخي في الله، وأختي في الله؛ اعلموا أنَّ للدُّعاءِ مواطنَ وأحوالًا وأماكنَ وأزمنةً فيها يستجابُ الدُّعاءُ، وفيها إجابةُ الدُّعاءِ أكثرُ مِن غيرها.

ومِن تِلكُمُ المواطنِ والأزمنةِ والأحوال: الدُّعاءُ عند السُّجود، كما يقول النبيُّ -عليه الصلاة والسلام-: (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا فِيهِ من الدُّعَاء[١]؛ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ[٢]).

وكما في الموطنِ الآخرِ عند نزولِ الغيثِ؛ كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يُكثِر فيه مِن الدُّعاء.

وكما في الدُّعاء في الثُّلثِ الأخيرِ من اللَّيل؛ فقد صحَّ عن نبيِّنا -عليه الصلاة والسلام- أنَّه قال: (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟)[٣]، وجاء في حديثٍ آخرَ أنَّ النبيَّ -عليه الصلاة والسلام- قال: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ)[٤].

ومِن تلكمُ المواطنِ أيضًا: الدُّعاءُ في السَّاعةِ الأخيرةِ بعد صلاة العصرِ مِن يوم الجمعة؛ فقد جاءَ عن نبيِّنا -عليه الصلاة والسلام-: (إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ)[٥]، ثمَّ قال: (فَالتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ العَصْرِ)[٦].

---

١ رواه مسلم من طريق أبي هريرة رضي الله عنه.

٢ رواه مسلم من طريق ابن عباس رضي الله عنه.

٣ رواه البخاري.

٤ رواه مسلم.

٥ رواه أحمد والنسائي، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غيرَ إبراهيم بن خالد، ورباح فقد روى لهما أبو داود والنسائي، وهما ثقتان. ورواه البخاري ومسلم بنحوه.

٦ رواه النسائي وأبو داود. حسن إسناده الحافظ في فتح الباري.

ومِن تلكُم المواطنِ: الدُّعاءُ عند التقاءِ الصَّفَّين في القتال في سبيل الله -عز وجل-، هذه كلُّها وغيرها مواطن يُستجَابُ فيها الدُّعاءُ أكثر مِن غيرها.

ومِن تلكمُ المواطنِ أيضًا: الدُّعاءُ بين الأذانِ والإقامة؛ فهناك دعوةٌ لا تُرَدُّ بإذن الله -عز وجل-.

ولكن، اعلم واعلمي أختي في الله؛ أنَّ هناكَ أيضًا موانعَ تمنع إجابةَ الدُّعاء، نذكر بعضَها كما جاء في الحديثِ الصَّحيحِ عن النبيِّ -عليه الصلاة والسلام- أنَّه (ذكر الرَّجلَ أشعثَ أغبرَ يطيل السَّفر، يرفع يديه إلى السَّماء: يا ربِّ، يا ربِّ! ومأكلُه حرامٌ، ومشربُه حرامٌ، وملبسُه حرامٌ، وغذِّيَ بالحرام؛ فأنَّى يُستجَابُ له؟!)[١]، أي: فكيف يُستجابُ له وقد ارتكب هذه الموانعَ العظيمةَ لإجابة الدُّعاء؟!

ومِن موانعِ إجابةِ الدُّعاءِ أيضًا: تركُ الأمرِ بالمعروف والنَّهيِ عن المنكر، كما في قوله -عليه الصلاة والسلام-: (لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ يَبْعَثُ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلاَ يَسْتَجِيبُ لَكُمْ)[٢].

إخواني في الله وأخواتي في الله، ارفعوا أياديكم إلى الله -عز وجل- بكلِّ تذلُّل، بكل انكسارٍ وتبتُّل، ارفعوا أيديكم إلى الله -عز وجل-.

ولكنِ استحضروا في قلوبكم عظمةَ الله -عز وجل- وأنتم تدعونه، استحضرْ أخي واستحضري أختي؛ أنَّكَ وأنَّكِ ترفعون الأياديَ إلى الله -عز وجل- الَّذي هو فوق السَّماءِ السَّابعة، فوق عرشه -سبحانه وتعالى-، ترفعون أياديكم إلى الملكِ الَّذي يملكُ كلَّ شيء، إلى الجبَّار القهَّار الذي قهر كلَّ شيء، إلى العليِّ الكبيرِ الذي عَلَا على كلِّ شيء، وهو القاهرُ فوق عباده، وهو العليُّ الكبير، ترفعون أياديكم إلى أرحمِ الرَّاحمينَ وإلى أكرمِ الأكرمينَ، وإلى خيرِ الرَّازقينَ، ترفعون أياديكم إلى الرَّبِّ العظيمِ الَّذي هو أرحمُ بأحدنا مِن الأمِّ

---

[١] رواه مسلم.

[٢] رواه أحمد والترمذي، وقال: هذا حديث حسن.

بولدها؛ جاءَ عنْ سفيانَ الثَّوريّ -عليه رحمة الله- أنَّه قال: "لو خُيِّرتُ أن يحاسبَني يومَ القيامةِ ربِّي أو أمِّي؛ لاخترتُ أن يحاسبَني ربِّي؛ فربِّي -سبحانه وتعالى- أرحمُ بي من أمِّي".

لمَّا ترفعونَ أياديكم إلى الله -عز وجل-؛ تذكَّروا ما قاله اللهُ -عز وجل- حكايةً عن يعقوبَ -عليه الصلاة والسلام- لمَّا فقد يوسفَ ثمَّ فقد أخاه، قال: {قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦)} [سورة يوسف].

يعقوب -عليه السلام- علم أن لَّا أحدَ يستجيبُ للدُّعاء، ولا أحدَ يفرِّجُ الهموم، ولا أحدَ ينفِّسُ الكروبَ كما ينفِّسُها الله -عز وجل-.

فأنتَ أخي في الله، وأنتِ أختي في الله؛ إنْ أصابكم أيُّ شيءٍ في هذه الدُّنيا الدَّنية، إنْ أصابكم أيُّ ضيقٍ أيُّ همٍّ أيُّ حزنٍ أيُّ شيءٍ، أيُّ مشكلةٍ أيُّ مهمَّةٍ أيُّ ملمَّةٍ؛ فارفعوا أياديكم إلى الله، إلى الَّذي تحبُّونه، إلى الذي تحسنون الظَّنَّ فيه، وتعتقدون أنَّه يحبُّكم، إلى أرحمِ الرَّاحمين، إلى أكرمِ الأكرمين، وبثُّوا إليه واشتكوا إليه.

كمْ بثثنا همومَنا إلى المخلوقين؟! وكم طرقنا أبوابَ المخلوقين؟! بثُّوا همومَكم إلى الله، ارفعوا الأيادي إلى الله -عز وجل-، وفرِّغوا مَا في قلوبكم بين يدي الله -سبحانه وتعالى-.

ناجوا اللهَ -عز وجل- قولوا: يا ربُّ، نشكو إليكَ الفقرَ، نشكو إليك الضَّعفَ، نشكو إليك المرضَ، نشكو إليك الدَّين، نشكو إليكَ الضِّيق، نشكو إليك قطيعةَ النَّاس لنا، ومنعَ النَّاس لنا، وظلمَ النَّاس لنا، وتكبُّر النَّاس علينا، نشكو إليك -يا ربُّ- همومَنا وغمومَنا وأحزانَنا وديونَنا وأمراضَنا، نشكو إليك كلَّ شيء، {إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ}.

ربِّي -سبحانه وتعالى- أخبر أنَّه يسمعُ ويستجيب: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ} [سورة المجادلة:١]، اشتكتْ إلى الله، فسمع اللهُ شكواها واستجاب اللهُ -عز وجل- لسؤالها، وفرَّج همَّها ونفَّس كربَها.

فربِّي -سبحانه وتعالى- يسمعُ كلَّ الأصواتِ على اختلافِ اللُّغاتِ وتفنُّن الحاجات، لا يُشغِله صوتٌ عن صوت، ولا لغةٌ عن لغة، ولا حاجةٌ عن حاجة؛ فهو الرَّب الكريمُ العظيمُ

الذي أحاط علمُه بكلِّ خلقه، وأحاط سمعُه بكلّ خلقه، وأحاط بصرُه بكلّ خلقه، ربِّي -سبحانه وتعالى- يستطيعُ أن يفرِّجَ همومَكم بـ{كُن فَيَكُونُ}، يستطيعُ أن يقلب حالَكم مِن هذا الحال إلى أحسنِ الأحوالِ في لحظة.

بعضُ النَّاسِ يقول: أنا أُكثِرُ مِن الدُّعاءِ ولكن الدُّعاء لا يُستجَاب! فيجعله هذا يسيءُ الظَّنَّ بالله -عز وجل-، ويتوقَّفُ عن الدُّعاء، أقول: هذا مِن مصائدِ الشَّيطان؛ ليمنعكم عن هذه العبادة العظيمة.

نحنُ في البداية قلنا: إنَّ الدُّعاءَ عبادة، أي: أنَّكَ وأنَّكِ تُؤجَرون على مجرَّد الدُّعاء، فإن لم يستجبِ اللهُ -سبحانه وتعالى- لكم دعاءكم في الدُّنيا؛ يكفِكُمُ الأجر، ويكفِكُمْ أن يحطَّ اللهُ -عز وجل- عنكم الوزرَ، ويكفِكُمْ أن يدَّخرَ اللهُ لكم هذه الإجابةَ إلى يوم القيامة.

إنَّ الله -سبحانه وتعالى- يعلم الغيبَ والشَّهادة، يعلمُ كلَّ شيء، فإن علم سبحانه أنَّ الخيرَ لكم أن يفرِّجَ عنكم مَا أنتم فيه في الدُّنيا؛ فرَّجه عنكم، وإنْ علم -سبحانه وتعالى- أنَّ الخيرَ لكم أن لا يفرِّجَ عنكم في الدُّنيا؛ لم يفرِّجه عنكم في الدُّنيا، ويورثكم مِن اليقينِ بالله مَا يجعلكم تصبرون على مَا أنتم فيه؛ فأنتم في كلِّ الأحوال في خير.

ثمَّ الأمرُ الثَّاني: اعلمْ واعلمي أنَّ مَن أَكثر طرقَ البابِ يُوشِكُ أن يُفتَح له، أنتَ طرقتَ بابَ الله، وأنتِ طرقتِ بابَ الله، وأكثرتم، وأكثرتم، وأكثرتم... اعلموا أنَّ فتحَ البابِ يُوشِك أن يكونَ قريبًا بإذن الله -عز وجل-؛ يقولُ محمدُ بنُ إدريسَ الشَّافعيُّ -عليه رحمة الله-:

أتهزأ بالدُّعاءِ وتزدريهِ *** ولا تدري بما صنعَ الدُّعاءُ
سهامُ اللَّيلِ لا تُخطِي ولكنْ *** لها أمدٌ وللأمدِ انقضاءُ
فيُمسِكُها إذا ما شاءَ ربِّي *** ويُرسِلُها إذا نفذ القضاءُ

أخي في الله وأختي في الله، لا تنسوا إخوانَكم المسلمين مِن الدُّعاء، إن لم تستطيعوا أن تنصروهم بأياديكم أو بألسنتكم أو بأموالكم أو بأيِّ شيءٍ؛ فانصروهم بهذا الدُّعاءِ العظيم

الذي هو أقوى سلاحٍ يمتلكه المؤمنُ وتمتلكه المؤمنة، ولكنِ انتبهوا إلى تحقيق التَّوحيدِ في هذا الدُّعاء العظيم.

أخبر اللهُ -عز وجل- عن المسلمين مع نبيّنا -عليه الصلاة والسلام- يوم أُحُد بعد أن انسحبوا، ثمَّ جمَّعهم النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- وخرج إلى حمراء الأسد؛ جاءه الخبر أنَّ أبا سفيانَ -وكان يومئذٍ مشركًا وهو قائدُ المشركين يومئذ- حشَّد عليه مِن جديدٍ، وجمَّع عليه من جديد، وهو يَهمُّ أن يغزوَ المدينةَ ويقتحم على الصَّحابة ويقضيَ على مَا بقي منهم حيًّا، فقال الله -عز وجل-: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)} [سورة آل عمران].

انظرْ وانظرِيْ وتأمَّلْ وتأمَّلِي، قالوا: {حَسْبُنَا اللَّهُ}، ولم يقولوا: "حسبنا اللهُ ورسولُه"! حسبُنا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، حسبنا أي: كافينا، كافينا اللهُ -عز وجل-، {وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} أي: ونعمَ الكافي.

لا بدَّ مِن تحقيقِ التَّوحيد في الدُّعاء، أن لا ندعوَ إلَّا اللهَ -عز وجل-، وأن لا نطلبَ إجابةَ الدُّعاء إلَّا مِن الله -عز وجل-، لا نطلبُ إجابةَ الدُّعاءِ مِن أحدٍ غيره ولو كانَ رسولَه! فانتبهْ وانتبهي إلى قوله: {حَسْبُنَا اللَّهُ}، وليس "حسبُنا اللهُ ورسولُه"، بل "حسبنا اللهُ وحدَه"، {وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤)} [سورة آل عمران].

ادعوا للمسلمين وادعوا للمسلمات، وادعوا للمهمومين وللمهمومات، وادعوا للفقراء وادعوا للمساكين، وادعوا للأرامل، وادعوا للأيتام، وادعوا للأسرى والأسيرات، وادعوا للمجاهدين في سبيل الله -عز وجل-، وادعوا للمرضى وللممسوسين وللمسحورين، وادعوا لكلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ على وجه الأرض، لعلَّ اللهَ أن يستجيبَ لكم، ويفرِّج عن هذه الأمَّة مَا هي فيه اليومَ مِن ضيقٍ، وما هي فيه اليومَ مِن شدَّة ومِن ابتلاء.

أسأل اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يرفعَ البلاءَ عن أمَّة محمدٍ -عليه الصلاة والسلام-، وجزاكم الله خيرًا، وبارك فيكم.

الحلقة الرابعة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، إله الأوَّلين والآخرين، وصلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله النبيِّ الأمين، وعلى آله وأصحابه الطَّيبين الطَّاهرين، ومن اتَّبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين؛ أمَّا بعد:

فأسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يجعلني وإيَّاكم جميعًا مِن ورثةِ جنَّة النَّعيم، وأن يُنجِيَني وإيَّاكم جميعًا مِن نار الجحيم؛ إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

أيُّها الإخوةُ الأكارم، أيَّتها الأخواتُ الكريماتُ؛ حديثي إليكم عن موضوعٍ من أهمِّ المواضيع، وأصلٍ من أهمِّ أصولِ المسلمين، وركنٍ ركينٍ مِن أركان هذا الدِّين العظيم؛ ألا وهو أوثقُ عُرى الإيمان: الولاءُ والبراءُ.

الولاءُ: المحبَّةُ والتَّأييدُ والنُّصرةُ والمعاونة.

والبراءُ: البغضُ والعداوةُ والتَّركُ والمقاطعة.

لمن هذا؟ ولمن هذا؟

هذانِ السُّؤالانِ المهمَّانِ لا بدَّ أن يعرفهما كلُّ مسلمٍ، وأن يُطبِّق مقتضاهما في واقع حياته.

الولاءُ لله ولرسوله وللمؤمنين فحسب، والبراءُ مِن الكفرِ والكافرين والمشركين والمرتدِّين، هذا هو دينُ الله -عز وجل- الذي أرسل به كلَّ أنبيائه وكلَّ رسله، وختمهم بأفضلِ رسله محمَّدِ بنِ عبد الله، عليه أفضلُ الصَّلاة وأزكى السَّلام.

يقول اللهُ -عز وجل- عن موالاةِ المؤمنين: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ

حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)} [سورة المائدة]، ويقول: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} [سورة الحجرات: ١٠]، ويقول: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} [سورة التوبة: ٧١].

انتبه أخي في الله؛ يقول النبيُّ -عليه الصلاة والسلام-: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ -أي: فيما بينهم- وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)[١].

ويقول النبيُّ -عليه الصلاة والسلام-: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)[٢] و(الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ[٣]، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ)[٤]، (وَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ[٥]، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ)[٦].

انتبهْ أخي لقوله: (وهمْ يدٌ على مَن سواهُمْ)، أي: أنَّ المسلمينَ والمسلماتِ يدٌ واحدةٌ على كلِّ مَن سواهم مِن الكفَّارِ والمشركينَ والمرتدِّينَ.

هذا هو الولاءُ للمؤمنين؛ أن تُحبَّ المؤمنين، وأن تؤيِّدَ المؤمنين، وأنْ تنصرَ المؤمنين، وأنْ توالِيَ المؤمنين، وأن تعاونَ المؤمنين، وأنْ ترحمَ المؤمنين، وأن تَعطُفَ على المؤمنين؛ بالقلبِ واللِّسانِ والجوارحِ، هذا أركان الولاءِ، وهذا دينُ الله -سبحانه وتعالى-، وهذه شريعةُ النَّبيِّ -عليه الصلاة والسلام-؛ أنْ نواليَ المؤمنين بقلوبنا وألسنتنا وجوارحنا، وأن نَبذُلَ في سبيل نُصرتِهم كلَّ مَا نملكُ مِن غالٍ ونفيسٍ.

وأمَّا البراءُ؛ فهو مِن الكفرِ والكافرينَ والمرتدِّينَ والمشركينَ، عداوتُهم وبغضُهم وتركُهم ومقاطعتُهم وتكفيرُهم وقتالُهم؛ بالقلبِ واللِّسانِ والجوارحِ، هذه هي أركانُ البراءِ: بالقلبِ

---

[١] متفق عليه.

[٢] رواه مسلم.

[٣] زاد المتحدث: "أعراضهم" ولم تُروَ عند أحد، فأزيلت.

[٤] رواه أحمد وأبو داود والنسائي، وصححه الحاكم.

[٥] ذكر المتحدث (ويجبر عليهم) فصُحِّحَ الحديث وردت بلفظِ: (وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ).

[٦] رواه أبو داود والنسائي والحاكم .وأخرجه أيضا أحمد وأبو داود وابن ماجه. [إسناده صحيح].

واللِّسانِ والجوارحِ، ولا يكفي واحدٌ عنْ واحدٍ، هذا هو دينُ الله -سبحانه وتعالى-، وهذه هي شريعة النَّبيّ -عليه الصلاة والسلام-، هكذا علَّمنا رسولُ الله ﷺ.

اسمعْ أخي واسمعي أختي إلى شيخِ الملَّة وإمامِ الموحِّدينَ ومَن معه ومَنِ اقتدى به مِن المؤمنين يومَ قالوا لقومهم -وهم آباؤهم وأمَّهاتُهُمْ وإخوانُهُمْ وعشيرتُهُم- الَّذين كانوا على دينِ الكفر، ويصرفون العبادةَ لغير الله سبحانه وتعالى؛ ماذا قال لهم إبراهيمُ إمامُ الموحِّدينَ -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السَّلام-، وماذا قال لهم المؤمنونَ الَّذينَ خلفَ إبراهيم؟ {إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} [سورة الممتحنة: ٤].

تبرَّؤوا مِن أمرينِ اثنينِ: مِنَ الكفرِ وأهلِه، ومِنَ الشِّركِ وأهلِه، ومِن الردَّة وأهلِهَا.

إذًا لا بدَّ أن نتبرَّأَ مِن الطَّواغيتِ وأجنادِهم، ولا بدَّ أن نتبرَّأَ مِن الطَّواغيتِ وعلمائهم، ولا بدَّ أن نتبرَّأَ مِن الطَّواغيتِ وأنصارهم، ولا بدَّ أن نتبرَّأَ مِن الدِّيمقراطيَّة وأهلها، ومِن العلمانيَّة وأهلها، ومن اللِّيبراليَّة وأهلها، ومِن الوطنيَّة وأهلها، ومن القوميَّة وأهلها.

لا بدَّ أن نتبرَّأَ من الاثنينِ معًا، ولا يكفي واحدٌ عن واحدٍ؛ فهذه هي ملَّة إبراهيم، {وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠)} [سورة البقرة].

هذا دينُ الله الَّذي أخبر عنه ربُّ العالمينَ -سبحانه وتعالى- في كتابه، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)} [سورة المائدة]، وفي قوله: {لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} [سورة آل عمران]، وفي قوله: {وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ} [سورة هود: ١١٣]، وفي قوله: {وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [سورة البقرة: ١٢٠].

إنَّ الله -عز وجل- بيَّن في كتابه العظيم أنَّ دخولَ المسلمِ والمسلمةِ تحت ولاية الكافرينَ خطيرٌ جدًّا، فبيَّن الله -عز وجل- أنَّ نهايةَ دخولِ المسلم والمسلمة تحت سلطانِ الكافرينَ وولايتهم أمرانِ، وهما في قوله: {إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠)} [سورة الكهف].

فإمَّا أن يرجموكم أو يقتلوكم أو يحبسوكم أو يُهجِّروكم أو يُشرِّدوكم أو يُطرُدوكم أو يُهينُوكم ويُعذِّبوكم؛ وإمَّا أن يُعِيدُوكم في ملَّتهم، أي: في ملَّة الكفر والرِّدَّة؛ فهذان خطران عظيمان جدًّا على كل مسلم ومسلمة.

نعم؛ لقد عذر اللهُ -عز وجل- المستضعفينَ مِن الرِّجالِ والنِّساءِ والولدان، المقيمينَ في دار الكفر، لا يستطيعونَ حيلةً ولا يهتدون سبيلًا، ولكن، أخي في الله، أختي في الله، الأمرُ خطيرٌ جدًّا، لا بدَّ أن تسعَوا، لا بدَّ أن تبذلوا كلَّ جهدِكم، لا بدَّ أن تبذلوا كلَّ ما تستطيعون في الهجرةِ مِن دارِ الكفرِ إلى دارِ الإسلام، إلى حيثُ رايةُ التَّوحيد، وتحكيم شريعةِ اللهِ -سبحانه وتعالى-.

لقد بيَّن اللهُ -سبحانه وتعالى- أنَّ سببَ عداوةِ الكفَّار والمرتدِّين للمسلمين هو تمسُّكُ المسلمينَ بدينهم، وأنَّ الكفَّار والمرتدِّين لن يقفوا عن قتالِ وتعذيبِ المسلمينَ حتَّى يرجعَ المسلمونَ عن دينهم، وهذا ظاهرٌ في قول الله -عز وجل-: {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧)} [سورة البقرة].

إخواني في الله، أخواتي في الله؛ لا يكفي أنْ نحقِّقَ الولاءَ للمؤمنين فقط، ولا يكفي أنْ نحقِّقَ البراءةَ مِن الكفرِ والكافرينَ فقط، بل لا بدَّ أن نحقِّقَ الولاءَ للمؤمنينَ بالقلبِ واللِّسانِ والجوارحِ، ونحقِّقَ معه أيضًا البراءةَ مِن الكفرِ والكافرينَ بالقلبِ واللِّسانِ والجوارحِ، لا بدَّ أن نحقِّقَ كلا الأمرين؛ فبعضُ الجهلةِ حقَّق الموالاةَ للمؤمنين، وتغافلَ عنِ البراءةِ من الكافرينَ، فوقع في موالاةِ الكفَّار والمرتدِّينَ مِن حيثُ يدري أو لا يدري.

فلا بدَّ على المسلمِ والمسلمةِ اللذِينَ يريدونَ التَّمسُّكَ بمنهج النبي -عليه الصلاة والسلام-: أن يحقّقوا كلا الأمرين: الولاءَ للهِ ولرسولهِ وللمؤمنين، والبراءةَ مِن الكفرِ والكافرين، وكلا الأمرينِ بالقلبِ واللِّسانِ والجوارحِ.

لا بدَّ أن يمتلئَ القلبُ بمحبَّة اللهِ ورسولِهِ والمؤمنينَ، ولا بدَّ أن ينطقَ اللِّسانُ بتأييدهم، ولا بدَّ أن تبذُلَ الجوارحُ كلَّ جهدِهَا وكلَّ وسعِهَا في نصرتِهِمْ ومعاونتهم.

ولا بدَّ أن يمتلئَ القلبُ ببغض الكفرِ والكافرينَ، ولا بدَّ أن ينطقَ اللِّسانُ بالبراءةِ منهُمْ وتكفيرِهِمْ، ولا بدَّ أن تبذلَ الجوارحُ كلَّ جهدِهَا وكلَّ وسعِهَا في إزالتهم مِن الواقع؛ بكلِّ مَا تستطيعُ مِن قوَّة.

هذا هو دينُ الله، مَن حقَّقه فقد حقَّق أوثقَ عُرَى الإيمانِ، وقدِ استكملَ الإيمانَ، كما قال النبيُّ -عليه الصلاة والسلام-: (مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ)[١].

إخواني في الله، أخواتي في الله؛ أعطيكم مثالًا مِن حياة النبيِّ -عليه الصلاة والسلام- حتَّى تعلموا علمَ اليقينِ أنَّ هذا هو الحقُّ، وأنَّ مَا يقوله علماءُ السُّوءِ علماءُ السَّلاطينِ علماءُ الطُّغاةِ علماءُ الطَّواغيتِ المرتدِّين؛ باطلٌ وشُبَهٌ، يريدون أن يصُدُّوكم بها عن دينِ الرَّسول ﷺ.

هذا المثالُ مِن سيرةِ النَّبيِّ -عليه الصلاة والسلام- يكفي لكلِّ صاحبِ قلبٍ سليمٍ ولكلِّ صاحبِ عقلٍ سليمٍ، هذا المثالُ هو مِن أعظمِ غزوةٍ غزاها رسولُ الله ﷺ في دين الإسلام، وهي أوَّل غزوةٍ قاتل فيها رسولُ الله ﷺ المشركين، وهي غزوةُ بدرٍ الكبرى.

مَن قاتلَ فيها رسولُ اللهِ ﷺ؟ لقد قاتلَ أبناءَ عمومتِهِ مِن قُرَيشٍ، مع أنَّهم أبناءُ عمومته، والدَّمُ الَّذي في عروقِهِ هو نفسُهُ الدَّمُ الَّذي يَسرِي في عروقهم، مع أنَّ نسبَهُ يصل إلى نفسِ الجَدِّ الَّذي يصل إليه نسبُهُمْ، مع أنَّه كان يسكنُ معهم، ويأكلُ معهم، ويشربُ معهم، ويخالطُهم.

---

[١] رواه أبو داود والطبراني. قال الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن.

ثمَّ أمره اللهُ -عز وجل- بأن يفاصلَهُمْ وأن يقاطعَهُمْ ويتبرَّأَ منهم، كما في قوله: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)} [سورة الكافرون].

في هذهِ الغزوةِ قاتل النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- أبناءَ عمومتِهِ مِن قريش، ثمَّ الأمرُ الآخرُ: مَن هُمُ المبارِزونَ مِن المسلمينَ في هذه الغزوة؟ ومَن هُمُ المبارِزون مِن المشركينَ في هذه الغزوة؟

كانَ المُبارِزُونَ في هذه الغزوةِ مِن المسلمين: حمزةَ بنَ عبدِ المطَّلبِ القُرَشِيَّ -رضي الله عنه- وعليَّ بنَ أبي طالبٍ القُرَشِيَّ -رضي الله عنه- وأبا عبيدةَ بنَ الحارثِ بنِ عبدِ المطَّلبِ القُرَشِيَّ، -رضي الله عنه-.

وكانَ المُبارِزُونَ مِن المشركينَ: عتبةَ بنَ ربيعةَ القرشيَّ، وشيبةَ بنَ ربيعةَ القرشيَّ، والوليدَ بنَ عتبةَ القرشيَّ.

فقَتَلَ الثَّلاثةُ المسلمونَ الثَّلاثةَ مِن المشركينَ، وأنزلَ اللهُ -عز وجل- في هؤلاءِ السِّتَّة مِن قريشٍ قرآنًا يُتلَى إلى قيامِ السَّاعة، وهو قولُ اللهِ -عز وجل- في سورة الحجِّ: {هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}، قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ -رضي الله عنه-: "واللهِ الَّذي لا إلهَ غيرُه؛ لقدْ نزلتْ فينا نحنُ السِّتَّة يومَ بدرٍ: {هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}".

لم تكنِ الخصومةُ يومَ بدرٍ بينَ النَّبيِّ وأصحابِه وبينَ المشركينَ مِن أبناءِ عمومتِهِ في أرضٍ، ولمْ تكنْ في مالٍ، ولم تكنْ في أيِّ شيءٍ مِن أمورِ الدُّنيا، بل كانت في دينِ اللهِ -سبحانه وتعالى-، كانتِ الخصومةُ في "لا إله إلا الله".

ثمَّ بعدَ هذا؛ مَن كانَ مِن بينِ الأسرَى السَّبعينَ يومَ بدرٍ؟

لقدْ كانَ مِن بينِ الأسرَى السَّبعينَ مِنَ المشركينَ: عقيلُ بنُ أبي طالبٍ القُرَشِيُّ، أخو عليٍّ، والعبَّاسُ بنُ عبدِ المطَّلبِ القُرَشِيُّ، أخو حمزةَ، ونوفلُ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطَّلبِ، أخو أبي عبيدةَ، أسروهم مع أنَّهم إخوانُهم في الدَّم، ولكنَّهم كانوا يومئذٍ أعداءً لهم في الدِّين.

وغيرُ هذا مَا فعلهُ مصعبُ بنُ عُمَيْرٍ -رضي الله عنه وأرضاه- أيضًا في غزوةِ بدرٍ، كانَ مصعبُ بنُ عميرٍ يمشي، فرأى أخاهُ أبَا عزيزٍ -وكان يومئذٍ مشركًا- رآه بينَ أسرى المشركينَ، ورأى أحدَ الصَّحابة يقف عند ظهرِهِ، ثمَّ نظرَ إلى يَدَيْ أخيه أبي عزيزٍ وإذا هُمَا غيرُ مربوطتينِ، فصاحَ بالصَّحابيِّ الجليلِ وقال له: "اشدُدْ وثاقَهُ؛ فإنَّ لأمِّه متاعًا عسى أنْ تَفْدِيَهُ"، فتعجَّبَ أبو عزيزٍ فقال: "أيهونُ عليكَ الدَّمُ؟" فقالَ مصعبُ بنُ عميرٍ -رضي الله عنه وأرضاه- لأخيه في الدَّمِ وعدوِّه في الدِّينِ أبي عزيزٍ، قالَ له: "أنتَ لستَ أخي!"، ثمَّ أشار إلى الصَّحابيِّ المسلم، وقال: "هذا أخي".

هلْ يقولُ قائلٌ بأنَّ هذه الأفعالَ تخالفُ الإنسانيَّةَ، وتخالفُ الرَّحمةَ، وتخالفُ لينَ القلوبِ؟! هذا طعنٌ في النبيِّ -عليه الصلاة والسلام-، هذا طعنٌ في أبي القاسمِ وفيمَا أوحيَ إليه مِن ربِّ العالمينَ -سبحانه وتعالى-.

إذًا -يا إخواني في الله، ويا أخواتي في الله- هذا دينُنَا، وهكذا علَّمنَا نبيُّنا -عليه الصلاة والسلام-: أن نواليَ المؤمنينَ وأن نعاديَ الكافرينَ.

ثمَّ أنصحُ كلَّ مسلمٍ ومسلمةٍ في دارِ الإسلامِ، وأنبِّهُهُمْ إلى أمرٍ خطيرٍ جدًّا: اعلموا أنَّ مُكْثَكُمْ في دارِ الإسلامِ وجلوسَكُمْ تحتَ رايةِ التَّوحيدِ وخضوعَكُمْ للشَّرعِ؛ كلُّ هذا لن ينفعَكُمْ إنْ كانَ في قلوبكُمْ محبَّةٌ للكفَّارِ أو محبَّةٌ للمرتدِّينَ أو محبَّةٌ للمشركينَ مِنَ العلمانيِّينَ والدِّيمقراطيِّينَ والطَّواغيتِ وغيرِهم؛ بسببِ قرابتهم لكُمْ هذا سيَنقُلُكُمْ مِن ملَّة الإسلامِ إلى ملَّةِ الكفر!

ألا فاحذروا، ألا فاحذروا، ألا فاحذروا! وحقِّقُوا دينَ الرَّسولِ -عليه الصلاة والسلام- دين الولاءِ والبراء، وقولوا لقومكم إنْ كانوا مشركين: {إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} [سورة الممتحنة:٤].

أسأل اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يجعلَني وإيَّاكم جميعًا ممَّن يُحقِّقُونَ الولاءَ والبراءَ بالقلبِ واللِّسانِ والجوارحِ، وأن يجعلَ هذا في ميزانِ أعمالي وميزانِ أعمالِكُمْ يومَ القيامة، جزاكُمُ اللهُ خيرًا، وبارك فيكُمْ، والسَّلامُ عليكُمْ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ.

الحلقة الخامسة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، الرَّحمن الرَّحيم، وصلَّى اللهُ وسلَّم على عبده ورسوله النَّبيِّ الأمين، الَّذي أرسله الله رحمةً للعالمين، وعلى آله وأصحابه الطَّيبين الطَّاهرين، ومَن اتَّبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين؛ أمَّا بعد:

إخواني في الله، السَّلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته، إخواني في الله، يا مَن تنظرون إلى واقع أمَّة محمَّدٍ ﷺ، وإلى ما تتعرَّضُ له أمَّته ﷺ مِن حربٍ شديدة، مِن حربٍ لم يَسبِقْ لها مثيلٌ في تاريخ البشريَّة أبدًا، ما الحلُّ؟ وكيف ننصرُ هذه الأمَّة؟ وكيف نقفُ مع أمَّة محمَّدٍ ﷺ؟

هذه نصيحتي لكم، أيُّها الإخوةُ في كلِّ مكان، يا مَن تبلُغُكُمْ هذه الكلماتُ في كلِّ مكان، في مشارقِ الأرضِ ومغاربِهَا، أقولُ لكم:

إنَّ الحلَّ بالرُّجوعِ إلى القرآنِ الكريم، إنَّ الحلَّ بالرُّجوع إلى هذا القرآنِ العظيمِ الَّذي بيَّن لك كلَّ شيء، بيَّن لك الحقَّ، وحبَّب إليك التمسُّكَ به، وبيَّن لك الباطلَ وكرَّه إليك الاقترابَ منه.

هذا القرآنُ العظيمُ الَّذي فيه الهدايةُ لكلِّ مَن أراد الهدايةَ؛ يقول الله -عز وجل-: {إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩)} [سورة الإسراء].

هذا القرآنُ الكريمُ الَّذي بيَّن اللهُ -سبحانه وتعالى- فيه كلَّ شيء؛ فقال: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ} [سورة النحل:٨٩].

ومَا ترك صغيرةً ولا كبيرةً ولا مشكلةً ولا معضلةً ولا ملمَّة ولا مهمَّة؛ إلَّا وذكرها، ما فرَّط في صغيرةٍ ولا قليلةٍ أبدًا؛ فقال سبحانه: {مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ} [سورة الأنعام:٣٨].

هذا الكتابُ القرآنُ العظيمُ كلامُ اللهِ -عز وجل-، فيه النُّورُ لمن أراد أن يهتديَ وسطَ هذه الظُّلماتِ الكثيرة؛ يقول الله -عز وجل-: {قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ} [سورة المائدة: ١٥-١٦]، ويقول -سبحانه وتعالى-: {أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)} [سورة الأنعام].

هذا القرآنُ الكريمُ الَّذي جعله اللهُ -سبحانه وتعالى- منَّةً على أمَّة محمَّد ﷺ، وجعله كرامةً لهم، وجعله رفعةً لهم في الدَّارين، وسببَ فوزهم وسعادتهم في الدُّنيا والآخرة، وسببَ طهارتِهِمْ ونقاوتِهِمْ مِن كلِّ خبثٍ؛ فقال الله -عز وجل-: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١)} [سورة البقرة].

فقوله -سبحانه وتعالى-: {وَيُزَكِّيكُمْ} أي: ويطهِّركم وينقِّيكم؛ فالزَّكاةُ هي الطَّهارةُ والنَّقاءُ والزِّيادة والنَّماء، ذَكَرَ الزَّكاةَ بعد تلاوةِ الآياتِ حتَّى تعلمَ -أخي في الله- أنَّ طهارةَ قلبك وطهارةَ لسانِكَ وطهارةَ جوارحِكَ ونقاوتَهَا مِن كلِّ خبثٍ؛ لا يكونُ إلَّا بالقرآنِ الكريمِ؛ لقوله: {يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ}.

أخي في الله، إنْ حَيَّرَكَ سببُ ضيقِ صدرك الَّذي تعانيه وأنتَ بعيدٌ عن نصرة أمَّة محمَّد ﷺ، وحَيَّرك هذا الضَّنكُ الَّذي تعيشُ فيه وأنتَ بعيدٌ عن نصرة دين محمَّد ﷺ، وأنتَ تقولُ في نفسك: لديَّ مالٌ، ولديَّ عيالٌ، ولديَّ بيوت، ولديَّ سيَّاراتٌ، ما هذا الضَّنك؟

فالجوابُ في كتاب الله -سبحانه وتعالى-: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)} [سورة طه].

وها هنا تنبيه؛ قوله -سبحانه وتعالى-: {وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ} معناها: وكذلكَ اليومَ تُترَكُ أعمَى لا تُبصِر، كما ذكر اللهُ -عز وجل- ذلكَ في سورة البقرة في قوله: {وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا

يُبْصِرُونَ}؛ لأنَّ الله -عز وجل- لا يَنْسَى؛ فهو مُنزَّهٌ -سبحانه وتعالى- عن النِّسيانِ والضَّلالِ والغفلةِ والجهل؛ يقول الله -عز وجل-: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤)} [سورة مريم].

أخي في الله، إنْ أردتَّ أن يبعثَ اللهُ في قلبك قوَّةً وفي جوارحِكَ قوَّةً، ويبعثَ في قلبك نورًا ويقينًا، لتقومَ وتنصرَ أمَّةَ محمَّدٍ ﷺ؛ فاعلم أنَّ هذا لن يكونَ وأنتَ بعيدٌ عنِ القرآنِ الكريم؛ يقولُ اللهُ -عز وجل- عن هذا القرآنِ العظيمِ: {وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ} [سورة الشورى: ٥٢].

فتأمَّل -أخي في الله- قولَه: {رُوحًا}؛ حتَّى تعلمَ أنَّك الآنَ ميّتٌ وأنتَ بعيدٌ عن القرآن وإنْ كنتَ في الصُّورةِ تمشي بين الأحياءِ؛ فهذه الرُّوحُ هي الرُّوحُ الحقيقيَّةُ التي تقيمُ هذا الجسدَ لنصرةِ الدِّينِ العظيم، ولنصرةِ أمَّة محمَّد ﷺ.

أخي في الله، إنَّ القلبَ يَمرَض، وإنَّ القلبَ يَتعَب، وإنَّ القلبَ يموتُ، ولا علاجَ للقلبِ إلَّا بالقرآنِ الكريمِ، ولا شفاءَ للقلبِ إلَّا بالقرآنِ الكريمِ؛ يقول اللهُ -عز وجل-: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢)} [سورة الإسراء]، شفاءٌ للقلب، وشفاءٌ للجوارح، شفاءٌ للباطن، وشفاءٌ للظَّاهر.

فإن أردتَّ أن يشفيَ اللهُ قلبكَ، وتَرجِعَ مِن جديدٍ إلى الخشوعِ وإلى اليقينِ بالله وإلى الحُرقةِ على أمَّةِ محمَّد ﷺ؛ فلن ترجعَ وقلبُكَ مريضٌ، فلن ترجعَ إلَّا بعدَ أن تُعالِجَ هذا القلبَ، ولا علاجَ لهُ إلَّا القرآنُ الكريمُ.

أخي في الله، إنَّ القلبَ كالأرض، إن لم تَسقِ الأرضَ ماتَ نباتُها، وإنْ سقيتَها أحيا هذا السِّقاءُ النَّباتَ الَّذي فيها؛ يقول اللهُ -عز وجل- في سورةِ الحجِّ: {وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥)}.

كذلك قلبُكَ كالأرضِ -وهو بعيدٌ عن القرآنِ- تموتُ فيه كلُّ الزُّهور، فإذا سقيتَهُ بماءِ القرآنِ؛ نبتتْ فيه زهورُ الإيمانِ، وزهورُ الخشيةِ، وزهورُ التَّوكُّل، وزهورُ اليقين، وزهورُ الإخلاص، وزهورُ الصِّدق، وزهورُ محبَّة الله ورسوله والمؤمنين، وزهورُ الشَّوق إلى الله،

وزهورُ محبَّة لقاء الله -سبحانه وتعالى-؛ كلُّ هذه الزُّهورِ لن تنبُتَ في أرضِ قلبكَ إلَّا بعدَ أن تسقيَها بغيثِ القرآنِ الكريم.

أخي في الله؛ فبادرْ وارجعْ إلى هذا القرآنِ العظيمِ الَّذي فيه الرَّدُّ على كلِّ شبهاتِ المُبطِلينَ، والَّذي فيه الغلقُ لكلِّ أبوابِ الشَّهواتِ التي يثيرها الشَّياطينُ مِن الإنسِ والجانِّ.

أخي في الله، ارجعْ إلى القرآنِ العظيمِ حتَّى تنجوَ في الدُّنيا والآخرة؛ يقول النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- كما في حديث أبي أمامةَ -رضي الله عنه وأرضاه- في صحيحِ مسلمٍ: (اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ)، ويقول النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- كما في حديث النَّواسِ بنِ سَمْعَانَ -رضي الله عنه وأرضاه- في صحيحِ مسلمٍ: (يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ، تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ [...] تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا).

أخي في الله، إنَّ هذا القرآنَ نورٌ وضياءٌ، وهدايةٌ ورحمةٌ وشفاءٌ، هذا القرآنُ الكريمُ هو قيمتُك يومَ القيامة، بالقرآنِ الكريمِ تُوزَنُ يومَ القيامة؛ يقولُ النبيُّ -عليه الصلاة والسلام: (يُقَالُ لقارئِ القرآنِ يومَ القيامة: اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي دَارِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ كُنْتَ تَقْرَؤُهَا)[١].

هذه منزلتُكَ يا عبدَ الله، هذه منزلتُكَ مع تلاوةِ القرآنِ، وتلاوتِهِ حقّ التّلاوة، كما قال اللهُ -عز وجل-: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} [سورة البقرة: ١٢١]، فجعل اللهُ -عز وجل- تلاوةَ القرآنِ حقَّ التِّلاوة علامةً على كمالِ إيمانِ المؤمن؛ لأنَّه يحبُّ كلامَ اللهِ -عز وجل- ويَأْنَسُ بكلامِ اللهِ -عز وجل- وتطمئنُّ نفسُهُ بكتابِ اللهِ -سبحانه وتعالى-، كما قال الله -عز وجل-: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨)} [سورة الرعد].

جاء في حديثِ أبي موسى الأشعريِّ -رضي الله عنه وأرضاه- المتَّفقِ عليه تبيانُ أربعةِ أنواعٍ منَ النَّاس، يقول النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- في هذا الحديث: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرآنَ

---

[١] رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ).

ثمَّ في النِّهايةِ؛ أُحذِّرُ نفسي -أوَّلًا- وأحذِّرُكَ أخي في الله، الَّذي تسمعُ هذه الكلماتِ، أحذِّرُ نفسي ثمَّ أُحذِّرُكَ مِن هَجْرِ القرآنِ الكريمِ؛ حتَّى لا تكونَ ممَّن يُخاصِمُهُمْ رسولُ الله ﷺ يومَ القيامةِ، ويشكوهم إلى الله، كما جاء هذا صريحًا في سورةِ الفرقان: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠)}.

هؤلاءِ الَّذينَ يهجرون القرآن: يُخاصِمُهُمُ النبيُّ ﷺ يومَ القيامة، ويشكوهم إلى الله -سبحانه وتعالى-.

لذلك ينبغي أنْ تعلمَ: مَا هو هجرُ القرآنِ، ومَا أنواعُهُ؛ حتَّى تحذرَ مِنْهُ وتَسلَم، وتُحذِّرَ غيرَكَ ليسلَمَ.

هجرُ القرآنِ أنواعٌ:

أمَّا الأوَّلُ؛ فهجرُ سماعِ القرآنِ والأُنسِ به، **وأمَّا الثَّاني**؛ فهجرُ تلاوةِ القرآنِ واطمئنانِ القلبِ به، **وأمَّا الثَّالثُ**؛ فهجرُ تدبُّرِ القرآنِ وفهمِ معناه، **وأمَّا الرَّابعُ**؛ فهجرُ العملِ بالقرآنِ الكريمِ، وتطبيقِ أوامرِه، واجتنابِ نواهيه، وهذا هو التَّقوى، **وأمَّا الآخَرُ**؛ فهجرُ الحكمِ به والتَّحاكُمِ إليه، وهذا هو أوضحُ علاماتِ تحقيقِ توحيدِ الإلهيَّة، **وأمَّا الأخيرُ**؛ فهو هجرُ الاستشفاءِ والتَّداوي بالقرآنِ الكريمِ.

هذه أنواعُ الهجرِ، فاحذرْ منهَا أخي في الله، وكنْ داعيةً إلى الله، وحذِّرْ منها.

أخي في الله، قمْ قومةَ حقٍّ، قمْ وادعُ إلى مَا دعا إليه النبيُّ -عليه الصلاة والسلام-، امشِ في الشَّارعِ، وامشِ في الطَّريقِ، واذهبْ إلى المحلَّاتِ التِّجاريَّة، واذهبْ إلى البيوتِ، واذهبْ إلى التَّجمُّعاتِ، واذهبْ إلى النَّوادي، إلى كلِّ مكانٍ، وادعُ إلى هذا القرآنِ الكريمِ، وادعُ إلى التَّمسُّكِ بالقرآنِ الكريمِ كلِّه، وهذا هو الأهمُّ.

فكم مِن قارئٍ للقرآنِ وحافظٍ للقرآنِ وتالٍ للقرآنِ وداعٍ إلى القرآنِ؛ يدعو إلى بعضِه ويترُكُ بعضَه! واللهُ -عز وجل- يقول: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥)} [سورة البقرة].

انظرْ حولَكَ إلى الدُّعاةِ إلى القرآنِ ما أكثرَهُمْ! ولكنَّهم يدعون إلى التَّمسُّكِ بالقرآنِ الكريمِ في الصَّلاةِ والصِّيامِ والحجّ، وهم أبعدُ النَّاسِ عنِ التَّمسُّك به في الحكمِ والتَّحاكمِ، في الولاءِ والبراءِ، في تكفيرِ الكفَّار والمرتدِّين، في إعلانِ الجهادِ في سبيل الله ورفعِ رايتِه، والوقوفِ مع الموحِّدينَ.

يؤمنونَ ببعضِ القرآنِ، يؤمنون به في الصَّلاةِ وفي الصِّيامِ وفي الأخلاقِ وفي المعاملاتِ، ولا يؤمنون به في تكفير الطَّواغيتِ؛ ولذلكَ تراهُمْ خدمًا للطَّواغيتِ، وتراهم يمشون خلف الطَّواغيتِ، وتراهم لا ينصرونَ أمَّةَ محمَّد ﷺ، ويزعمون أنَّهم مِن أهل القرآن!

فإذا أردتَّ أن تكون -أخي في الله- مِن أهلِ القرآنِ؛ فكنْ ممَّن يتمسَّكونَ بالقرآنِ الكريمِ كلِّه، يؤمنون به كلِّه، ويعملون به كلِّه، ويتمسَّكونَ به كلِّه، ويدعونَ إليه كلِّه.

أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ؛ أن يجعلَ هذه الكلماتِ حجَّةً لي ولكُمْ -يا مَن تسمعونَ هذه الكلماتِ- يومَ القيامة، وأن يثقِّلَ بها موازيني وموازينَكُمْ، وأنْ يجعلها سببًا في إحياء قلبي وقلوبِكُمْ، وفي هدايتي وهدايتِكُمْ.

أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ: أنْ يجعلني وإيَّاكم جميعًا مِنَ الهداةِ المهتدين، ومِنَ الصَّالحينَ المصلحين، جزاكُمُ الله خيرًا، وبارك فيكم، والسَّلامُ عليكُمْ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ.

الحلقة السادسة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، إله الأوَّلين والآخرين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله النبيِّ الأمين، وعلى آله وأصحابه الطَّيبين الطَّاهرين، ومن اتَّبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين؛ أمَّا بعد:

فأسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يفقِّهني وإيَّاكمْ جميعًا في الدِّين، وأن يجعلني وإيَّاكم جميعًا مِن الهداةِ المهتدين، ومِنَ الصَّالحين المصلحين؛ إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

أيُّها الكرام، حديثُنا إليكُمْ عن اتِّباعِ سنَّة النَّبيِّ -عليه الصلاة والسلام- عن التَّمسُّك بسنَّة النبيِّ -عليه الصلاة والسلام-، وقبل أن نتحدَّثَ عن السُّنَّة لا بدَّ أن نبيِّن عقيدتَنَا في السُّنَّة:

نحنُ -أهل السُّنَّة والجماعة- نعتقدُ عقيدةً جازمةً بكلِّ يقين؛ أنَّ السُّنَّة وحيٌ أوحاه الله إلى النبيِّ -عليه الصلاة والسلام- كما في قوله سبحانه: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)} [سورة النجم]، وكما في قوله -عليه الصلاة والسلام-: (أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ)[١].

فنحنُ نعتقدُ عقيدةً؛ أنَّ جبريلَ -عليه السلام- كان ينزلُ بوحي السُّنَّة على النبيِّ -عليه الصلاة والسلام- كما كانَ ينزلُ عليه بالقرآن.

أخي في الله، أختي في الله؛ إنِّي أنصحُ نفسي أوَّلًا ثمَّ أنصحُكم بالرُّجوعِ إلى التَّمسُّك بسنَّة نبينا -عليه الصلاة والسلام- في جميع أقوالنا وأعمالنا وأحوالنا، في السِّرِّ والعلنِ.

لقد أمر اللهُ -عز وجل- باتِّباعِ سنَّة نبيِّه -عليه الصلاة والسلام-؛ فقال: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا} [سورة الحشر: ٧].

---

[١] رواه أحمد وأبو داود والطبراني في الكبير. قال الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح، غير عبد الرحمن بن أبي عوف الجُرَشي، فمن رجال أبي داود والنسائي، وهو ثقة.

وبيَّن اللهُ -عز وجل- أنَّ الهدى كلَّ الهدى في طاعة سنَّة نبيِّنا -عليه الصلاة والسلام-؛ فقال: {وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا} [سورة النور: ٥٤].

وبيَّن اللهُ -عز وجل- أنَّ علامةَ محبَّةِ المؤمنِ لربِّه ومولاه أن يتَّبعَ سنَّةَ رسولِ الله ﷺ؛ وذلك في قوله: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١)} [سورة آل عمران].

لقد قرنَ اللّهُ -عز وجل- بينَ طاعتِهِ وطاعةِ رسوله ﷺ، كما في قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ} [سورة النساء: ٥٩].

وبيَّن اللهُ -عز وجل- في هذه الآياتِ أنَّ طاعةَ نبيِّنا -عليه الصلاة والسلام- فيها الخيرُ كلُّ الخيرِ، وفي مخالفتِهِ -عليه الصلاة والسلام- الشَّرُّ كلُّ الشَّرِّ، كما في قوله -سبحانه وتعالى-: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)} [سورة النور]. أي: عنْ أمرِ النَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام.

أخي في الله، أختي في الله؛ هذه آياتٌ تَعِظُكُمْ وتنصحُكم وتأمرُكم وتوجِّهُكم إلى فضيلةِ التَّمسُّك بسنَّة النبيِّ -عليه الصلاة والسلام- في القولِ والعمل، في السِّرِّ والعلن.

ثمَّ إنَّ نبيَّنا -عليه الصلاة والسلام- بيَّن في سنَّته أيضًا وجوبَ التَّمسُّك بالسُّنَّة والعملِ بها، ووجوبَ الأخذِ بها في كلِّ حالٍ في كلِّ قولٍ في كلِّ عملٍ، في السِّرِّ والعلن؛ فقال -عليه الصلاة والسلام-: (عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ)[١]، (وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ)[٢].

---

[١] رواه أبو داود والترمذي. صححه الترمذي والبزار فيما نقله عنه ابن عبد البر في جامع بيان العلم، والحاكم، وابن عبد البر والضياء المقدسي، والذهبي، وقال ابن رجب: هو حديث جيد، من صحيح حديث الشاميين، ولم يتركه البخاريُّ ومسلمٌ من جهة إنكار منهما له.

[٢] رواه النسائي، وهذه الزيادة ليست في الحديث السابق. ونفى شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الزيادة حتى من الحديث الأصلي الذي ورد فيه هذا اللفظ في مجموع الفتاوى (١٩/ ١٩١).

ثمَّ بيَّن النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- وجوبَ طاعةِ أمرِه واجتنابِ نهيِهِ؛ فقال: (مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ)[٣].

وبيَّن النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- أنَّ التَّمسُّكَ بالسُّنة النَّبويَّة الشَّريفة هو مِن أسبابِ دخولِ الجنَّة؛ فقال -عليه الصلاة والسلام-: (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، إِلَّا مَنْ أَبَى) قالوا: ومَن يأبى يَا رسولَ اللهِ؟، قال: (مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى)[٢].

بيَّنَ نبيُّنا -عليه الصلاة والسلام- أنَّ المسلمَ والمسلمةَ إذا تقرَّبوا إلى الله -عز وجل- بأيِّ عملٍ يخالفُ السُّنَّة؛ فهذا العملُ غيرُ مقبولٍ وهو مردودٌ؛ قال -عليه الصلاة والسلام-: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنا هذا ما لَيْسَ فِيهِ فهو رَدٌّ)[٣]، وفي لفظٍ للإمامِ مسلمٍ قال: (مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ).

أي: أنَّ كلَّ عملٍ يتقرَّب به المسلمُ إلى الله -عز وجل- يخالفُ سنَّةَ النَّبيِّ -عليه الصلاة والسلام-؛ فهذا العملُ مردودٌ وهو غيرُ مقبولٍ.

أخي في الله، أختي في الله؛ مِن هذه الآياتِ ومِن هذه الأحاديثِ يتبيَّنُ لنا جميعًا وجوبُ التَّمسُّكِ بالسُّنَّة، وفضلُ التَّمسُّكِ بالسُّنَّة، وخطورةُ البدعِ، وخطورةُ اتِّباعِ أهلِ الأهواءِ والانحرافِ والضَّلالِ.

لذلك أُنبِّه نفسي وأُنبِّهُكم على أمرٍ مهمٍّ؛ وهو التَّمسُّكُ بكلِّ السُّنَّة، وليس الأخذَ ببعضِها دونَ البعض، وليس الانتقاءَ منها، وليس أخذَ ما تحبُّه النَّفسُ وتركَ ما تكرهه، لا بدَّ مِن الأخذِ بكلِّ السُّنَّة.

وها هنا شبهةٌ مِن شبهِ أهل الضَّلالِ والانحرافِ، علماءِ السُّوء علماءِ الطَّواغيتِ، الَّذينَ أخذوا بسنَّة نبيِّنا -عليه الصلاة والسلام- في مظهرهم فقط، وخدعوا الأمَّة بشبهةٍ خطيرة؛

---

٣ متفق عليه.

٢ رواه البخاري.

٣ رواه البخاري.

أن بيِّنوا للأمَّة المسلمة، بيِّنوا لنا هذا الجانبَ فقطْ مِن سنَّته: أنَّ نبيَّها نبيُّ لينٍ، وخدعونا وانخدعنا بكذبهم لسنينَ طوال.

لذلك أُنبِّه نفسي وإيَّاكم على هذه الشُّبهةِ الخطيرة.

نبيُّنا -عليه الصلاة والسلام- كان أرحمَ النَّاسِ في مواطن الرَّحمة، وكان أشدَّ النَّاسِ في مواطن الشِّدَّة، كان أَلْيَنَ النَّاسِ في مواطنِ اللِّين، وأشدَّ النَّاسِ حَزْمًا في مواطنِ الحَزْمِ.

كان نبيُّنا يمسحُ دموعَ الأيتامِ، ويضربُ رقابَ الكفَّارِ والمشركين.

كان نبيُّنا -عليه الصلاة والسلام- يُحسِنُ إلى الأرامل، وينصرُ الضُّعفاء، ولكنَّه كان يكسرُ رقابَ الظَّلمة، ويَرْدَعُ الكفَّارَ ويَرْدَعُ المشركين، ويسبي نساءَهم وذراريهم.

إنَّ نبيَّنا -عليه الصلاة والسلام- حَلُمَ على ذلك اليهوديِّ الَّذي جرَّ ثوبَه، وهو زيدُ بنُ شُعْنَةَ، وكان ذلك سببًا في إسلام زيدِ بنِ شُعْنَةَ، ولكنَّ النبيَّ -عليه الصلاة والسلام- ضربَ أعناقَ أكثرَ مِن ستِّمئةِ يهوديٍّ في يومٍ واحدٍ، وذلك يومَ بني قريظة، وسبى نساءَهم وسبى ذراريهم.

إنَّ النَّبيَّ -عليه الصلاة والسلام- ترك قتلَ ابنِ سلول؛ فقال النبيُّ -عليه الصلاة والسلام-: (لَا يتحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ)[١]، ولكنَّه -عليه الصلاة والسلام- لمَّا أخذ بني قريظةَ إلى مواضعِ القتلِ؛ كشف عن عوراتِهم، فمَنْ أنبت منهم قَتَلَهُ، ومَن لم يُنبِتْ منهم سباه، ولم يَقُلْ -عليه الصلاة والسلام-: لا يتحدَّث النَّاسُ أنَّ محمَّدًا يقتل الأطفال!

هذه سنَّةُ نبيِّنا -عليه الصلاة والسلام-؛ إنَّ النبيَّ حرَّق نخيلَ المشركين، إنَّ النبيَّ حرَّق بيوتَ الكفَّار والمشركين، إنَّ نبيَّنا هو نبيُّ الرَّحمة، ولكنَّه نبيُّ الملحمة، إنَّ نبيَّنا هو الضَّحوك، ولكنَّه القَتَّالُ.

---

[١] رواه البخاري.

إنَّ نبيَّنا كان يُلقِي السَّلامَ على المسلمين، ولكنَّه قال للمشركين لمَّا استهزؤوا به وهو يطوفُ بالكعبة، التفتَ إليهم وقال: (أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ؟!) قالوا: نعم، قال: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ)[٢].

هذا هو المهمُّ؛ أن نأخذَ بسنَّة نبيّنا -عليه الصلاة والسلام- كلِّها، ولا نأخذَ بعضَها ونترك بعضًا.

إنَّ نبيَّنا -عليه الصلاة والسلام- وُصِفَ هو وأصحابُه في القرآنِ الكريمِ بأجملِ وصفٍ؛ فقال اللهُ -عز وجل-: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [سورة الفتح: ٢٩].

هذه هي سنَّةُ نبيّنا؛ قال اللهُ -عز وجل-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ} [سورة المائدة: ٥٤].

فيا أيُّها المسلمون، ويا أيَّتها المسلمات؛ ارجعوا إلى السُّنَّة، وانظروا أينَ أنتمْ منهَا، لا بدَّ أن نتمسَّكَ بسنَّة نبيِّنا -عليه الصلاة والسلام- فِي العقيدة، ونتمسَّكَ بسنَّته في التَّوحيد، ونتمسَّكَ بسنَّته في الولاءِ والبراءِ، نتمسَّك بسنَّته في مَظْهَرِنَا في مَلْبَسِنَا، في مَأكَلِنَا في مَشْرَبِنَا، في أقوالِنا في أحوالِنَا في أعمالِنا، في ظاهرِنَا وباطِنِنَا.

لا بدَّ أن نتمسَّكَ بسنَّة نبيّنا -عليه الصلاة والسلام- في فقهِ الحلالِ والحرامِ، ونتمسَّكَ بسنَّة النبيِّ -عليه الصلاة والسلام- في الأخلاق، في المعاملاتِ في الآدابِ في كلِّ مسألةٍ، في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ؛ حتَّى نهتديَ ونفوزَ، كما قال اللهُ -عز وجل-: {وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا} [سورة النور: ٥٤].

فيا إخواني، انظروا أينَ أنتم مِنَ السُّنَّة؟ ماذا ستقولونَ للنبيِّ -عليه الصلاة والسلام- يومَ القيامةِ عندما يراكم وقد خالفتُمُ السُّنَّة وتمسَّكتُمْ بالبدعة؟! ماذا ستقولونَ لربِّ

---

[٢] رواه أحمد وابن هشام في السيرة عن ابن إسحاق، وأبو نعيم في الدلائل، والبيهقي في الدلائل. قال الأرنؤوط: إسناده حسن. وقال الهيثمي في المجمع: في الصحيح طرف منه، أحمد، وقد صرح ابنُ إسحاق بالسماع، وبقية رجاله رجال الصحيح.

النبيِّ -عليه الصلاة والسلام- يومَ القيامةِ، الَّذي امتنَّ عليكُمْ بإرسالِ هذا الرَّسولِ العظيمِ؟!

إنَّ اللهَ -عز وجل- أنزلَ آيةً عظيمةً في القرآنِ الكريمِ، يُبيّنُ لنا فيها عظمةَ السُّنَّة وعظمةَ صاحبِ السُّنَّة، وأنَّ بِهِ تمَّتِ المِنَّةُ على هذهِ الأمَّة؛ يقول الله -عز وجل-: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١)} [سورة البقرة].

فهذا كتابُ اللهِ يعرِّفنا بفضلِ صاحبِ السُّنَّة، ويُبيّنُ لنا عظيمَ النِّعمةِ بهذه السُّنَّةِ على هذه الأمَّة.

فاشكروا النِّعمةَ يا إخوة، واشكروا النِّعمةَ يا أخوات، اشكروا نعمةَ اللهِ أنْ جعلكم مِن هذه الأمَّة، مِنْ أمَّة نبيّنا -عليه الصلاة والسلام-، واختصَّكم بهذه السُّنَّة الَّتي أخبرَ عنها في القرآنِ بأنَّها نورٌ؛ يقولُ اللهُ -عز وجل-: {نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ} [سورة المائدة: ١٥-١٦]، فالنُّورُ هو السُّنَّة، والكتابُ هو القرآنُ.

يا مَن تريدُ العبورَ على الصِّراطِ والنَّجاةَ يومئذٍ، ولن يعبرَ على الصِّراطِ إلَّا مَن كان له نورٌ، هذا هو النُّورُ، يا مَن تريدُ أن تهتديَ في هذهِ الظُّلماتِ الَّتي بعضُها فوقَ بعضٍ، لن تهتديَ إلَّا بالنُّور، وهذا هو النُّورُ، فتمسَّكوا بالنُّورِ، وكونوا مِن أهلِ النُّورِ، ولا تكونوا مِن أهلِ الظُّلماتِ؛ {أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)} [سورة الأنعام].

أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ؛ أنْ يُفقِّهَني وإيَّاكمْ جميعًا في السُّنَّة، وأنْ يجعلَني وإيَّاكم جميعًا مِنَ المتمسِّكينَ بالسُّنَّة في القولِ والعملِ، في السِّرِّ والعلنِ، وأنْ يجعلَ تمسُّكَنَا بسنَّة نبيِّنا -عليه الصلاة والسلام- سببَ رفعتِنَا في الدُّنيا ويومَ القيامة.

إنَّ النبيَّ -عليه الصلاة والسلام- بيَّن أنَّ مِن أعظمِ أسبابِ الذُّلِّ والهوانِ والصَّغارِ الَّذي يقعُ فيهِ المسلمُ أو تقعُ فيهِ المسلمةُ؛ هو مخالفةُ السُّنَّةِ، وهذا صريحٌ في قولهِ -عليه الصلاة

والسلام-: (بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ)[١].

جزاكُمُ اللهُ خيرًا، وبارَكَ فيكُمْ، والسَّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ.

[١] رواه أحمد، قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف على نكارة في بعض ألفاظه. ابن ثوبان اختلفت فيه أقوالُ المجرحين والمعدلين، فمنهم من قوى أمره، ومنهم من ضعفه، وقد تغير بأخرة، وخلاصة القول فيه أنه حسنُ الحديث إذا لم يتفرد بما ينكر، فقد أشار الإمام أحمد إلى أن له أحاديث منكرة، وهذا منها.

الحلقة السابعة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، إلهِ الأوَّلينَ والآخرين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله النبيِّ الأمين، وعلى آله وأصحابه الطَّيبينَ الطَّاهرينَ، ومَنِ اتَّبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ؛ أمَّا بعدُ:

فأسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ بأسمائه الحسنى وبصفاتِهِ العلا؛ أن يجعلَني وإيَّاكم جميعًا مِن ورثةِ جنَّة النَّعيم، وأن ينجِّيني وإيَّاكم جميعًا مِن نارِ الجحيم؛ إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

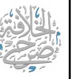
أيُّها الأحبَّة، حديثي إليكُمُ اليومَ عن الأمرِ الَّذي بسببه يَنزِلُ البلاءُ بالمسلمين، والَّذي بسببه تُمحَقُ البركةُ مِنَ المسلمين، والَّذي بسببه تُمنَع إجابةُ الدُّعاءِ عنِ المسلمين، والَّذي بسببه ظهر الفسادُ في البرِّ والبحرِ بما كسبتْ أيدي النَّاس، هذا السَّببُ هو تركُ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عنِ المُنكَر.

هذه الفريضةُ العظيمةُ الَّتي دلَّ على عظمتِهَا القرآنُ والسُّنَّة؛ يقولُ اللهُ -عز وجل-: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [سورة آل عمران: ١١٠].

يقولُ اللهُ -عز وجل-: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)} [سورة آل عمران].

هذه الفريضةُ العظيمةُ دلَّ على فضلِهَا السُّنَّةُ النَّبويَّةُ المطهَّرةُ، كما في حديثِ حذيفةَ بنِ اليمانِ[١] -رضي الله عنهما- قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (الْإِسْلَامُ ثَمَانِيَةُ أَسْهُمٍ: الْإِسْلَامُ سَهْمٌ،

[١] هذا لفظ لرواية ابن الأعرابي من طريق عمار بن ياسر -رضي الله عنه-.



وَالصَّلَاةُ سَهْمٌ، وَالزَّكَاةُ سَهْمٌ، وَالصِّيَامُ سَهْمٌ، وَالْجِهَادُ سَهْمٌ، وَالْحَجُّ سَهْمٌ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ سَهْمٌ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ سَهْمٌ)[٢].

فانظرْ أيُّها العاقلُ كيفَ جعلَ النَّبيُّ -عليه الصلاة والسلام- للشَّهادتَين سهمًا واحدًا، وللصَّلاةِ سهمًا، وللزَّكاةِ سهمًا، وللصِّيامِ سهمًا، وللجهادِ سهمًا، وللحجِّ سهمًا، وجعلَ للأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عنِ المنكرِ سهمَينِ اثنين؛ حتَّى تعلمَ -يا عبدَ الله- فضلَ هذهِ الفريضةِ العظيمة، فريضةِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عنِ المُنكَرِ.

إنَّ أعظمَ معروفٍ يُؤمَرُ به هو الأمرُ بالتَّوحيدِ، وإنَّ أعظمَ منكرٍ يُنهَى عنه هو النَّهيُ عن الشِّركِ والتَّنديدِ، والعياذُ بالله.

بيَّنَ اللهُ -سبحانه وتعالى- أنَّ الأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عنِ المنكرِ مِن صفاتِ المؤمنينَ، وأنَّ تركَ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عنِ المنكرِ مِن صفاتِ المنافقينَ، فعقد -سبحانه وتعالى- مقارنةً بينهما؛ فقال سبحانه: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧)} [سورة التوبة].

ثمَّ قالَ عنِ المؤمنين: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ} [سورة التوبة: ٧١].

فتأمَّل أيُّها الحبيبُ كيفَ جعلَ اللهُ -عز وجل- الأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المنكرِ من صفاتِ المؤمنين.

هذه الفريضةُ العظيمةُ لمَّا تركتهَا الأممُ السَّابقةُ قَبْلَنا؛ لعنهُمُ الله، وبيَّن اللهُ -عز وجل- سببَ اللَّعنِ فقال: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)} [سورة المائدة].

---
[٢] رواه الطيالسي والبزار والبيهقي في شعب الإيمان. قال الهيثمي: فيه يزيد بن عطاء وثقه أحمد وغيره، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات.

فبيَّنتْ هذه الآيةُ العظيمةُ أنَّ سببَ لعنِ بني إسرائيلَ الَّذين كانوا في زمانِ الأنبياءِ والمرسلين؛ تركُهُمْ للأمرِ بالمعروفِ وتركُهُمْ للنَّهيِ عنِ المنكرِ.

يقول بعضُ النَّاسِ مستدلًّا بحديثٍ ويحملُهُ على غيرِ محملِهِ؛ يقول النبيُّ -عليه الصلاة والسلام-: (من حُسْنِ إسْلامِ المَرْءِ تَرْكُه مَا لا يَعْنيهِ)[١].

ويحملُ هذا الحديثَ على تركِ نهيِ الآخرينَ عن المنكر، وهذا باطلٌ، بلْ هذا مِن أبطلِ الباطلِ، كيفَ لا يعنيكَ وقوعُ المسلمينَ في المنكرات؟! كيفَ لَا يعنيكَ وقوعُ أخيكَ في اللهِ في المنكرات؟! بلْ هذا مِن أعظمِ مَا يعنيكَ؛ أنْ تأمرَهُ بالمعروفِ وأن تنهَاهُ عنِ المنكرِ؛ مصداقًا لحديثِ نبيّنَا -عليه الصلاة والسلام-: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ)[٢].

كان نبيُّنا -عليه الصلاة والسلام- لا يغضَبُ إلَّا إذا انتُهِكَتْ محارمُ اللهِ؛ حتَّى تعلمَ -يا عبد الله- أنَّكَ إنْ رأيتَ منكرًا ولم تغضب، ولم يتمعَّرْ وجهُكَ، ولم تحمرَّ عيناك؛ فاعلمْ أنَّ في قلبِكَ مرضًا، وأنَّ في قلبك نفاقًا، ولَا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله، أنبيُّكَ -عليه الصلاة والسلام- كان يغضبُ الغضبَ الشَّديدَ إذا انتُهِكَتْ محارمُ اللهِ -عز وجل-، وأنتَ لا تَغْضَبُ إذا انتُهِكَتْ محارمُ اللهِ -عز وجل-؟!

قال النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- كما في حديثِ ابنِ مسعودٍ -رضي الله عنه وأرضاه-: (مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي، إلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ)، هكذا رواه الإمام مسلم -عليه رحمة الله- في صحيحه.

---

[١] رواه ابن ماجه والترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ لا نَعْرِفُه من حديثِ أبي سَلمةَ، عن أبي هُريرةَ، عن النبيِّ ﷺ إلَّا من هذا الوَجْهِ.

[٢] رواه مسلم.

فانظرْ كيف جعلَ النَّبيُّ -عليه الصلاة والسلام- الأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المنكرِ جهادًا في سبيل الله -عز وجل-، بل هو أعلى مراتبِ الجهادِ في سبيل الله.

وأعظمُ منكرٍ يُنكَر هو الكفرُ والشِّركُ -والعياذ بالله- وأعظمُ سبيلٍ لإنكاره هو الإنكارُ باليد والإنكارُ بالسَّيفِ والسِّنانِ؛ بقراعِ أعداءِ اللهِ -عز وجل- وردِّهم عن هذا المنكر، عن منكر الكفرِ إلى معروفِ التَّوحيدِ والإسلامِ والإيمانِ.

أخي في الله، أختي في الله، يَا مَن تسمعونَ هذا الكلامَ؛ اعلموا أنَّه لا عذرَ لكُمْ إنْ رأيتُمُ المنكراتِ وسكتُّم عنها، اعلموا أنَّ السُّكوتَ عن إنكارِ المنكرِ منكرٌ بحدِّ ذاته، إنَّك إنْ رأيتَ منكرًا وسكتَّ؛ فأنت ومرتكبُ المنكرِ في الإثمِ سواءٌ، وأنتِ إنْ رأيتِ منكرًا وسكتِّ عن فاعله أو فاعِلَتِهِ؛ فأنتِ وإيَّاها في إثمِ المُنكرِ سواءٌ؛ يقول الله -عز وجل-: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠)} [سورة النساء].

فانظرْ وانظري وتأمَّل وتأمَّلي؛ كيفَ وقعَ هؤلاءِ في الكفرِ؟ هل نطقوا بالكفر؟ هل قالوا الكفرَ؟ هل فعلوا الكفرَ؟ لا والله، بل مَا هو إلَّا جلوسُهم مع المستهزئينَ بآياتِ الله، مع الكافرينَ بآياتِ الله، وسكوتُهم عن ذلك، وعدمُ إنكارهم، وعدمُ الخروج.

{فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ} أي: في الكفر، ولَا حولَ ولَا قوَّةَ إلَّا بالله! وذلكَ بسكوتِهم عنْ كفرِهم، وعدمِ إنكارِهم لكفرِهم، وعدمِ خروجِهم مِن مجلسِهم، ثمَّ قال اللهُ -عز وجل-: {إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا}.

أخي في الله، وأختي في الله؛ لا بدَّ أن نقومَ جميعًا وأن ننبريَ جميعًا للأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكر، لا بدَّ أن نبدأ بالأمرِ بالتَّوحيد، وهو أعظمُ معروفٍ يُبْدَأ به، وهو الَّذي بدأ به جميعُ الأنبياءِ والمرسلين، لا بدَّ أن نبدأ بإنكار الشِّركِ -والعياذ بالله- وكلِّ صُوَرِه، وهو أوَّلُ منكرٍ وأعظمُ منكرٍ نهتْ عنه جميعُ الأنبياءِ والمرسلينَ.

انظرْ -أخي- حولك، إنْ كنتَ تعيشُ خارجَ دارِ دولةِ الإسلامِ -أعزها الله- انظرْ كيفَ انتشرَ الشِّركُ، وكيفَ انتشرَ الكفرُ والردَّةُ والنِّفاقُ وَالبِدَعُ! هذه كلُّها منكراتٌ، لا بدَّ أن تقومَ لإنكارها بالقلبِ واللِّسانِ والجوارحِ؛ حتَّى تبرأ وتسلَمَ وتبرأَ ذمتُكَ أمامَ اللهِ -عز وجل-.

إنَّنا في دولةِ الإسلامِ بفضل الله -عز وجل-، أُنكِرَتْ في دارِنا المُنكَراتُ، وأُمِرَ في دارِنا بالمعروفِ، قُضِيَ على صروح الشِّركِ بكلِّ صُوَرِهِ وبكلِّ مِلَلِهِ ونِحَلِهِ، وبفضلِ الله -عز وجل- قُمِعَتِ البدعُ، وأُزِيلَت المنكراتُ مِن المساجدِ، وقامَ أبناءُ الحسبةِ -بارك الله فيهم- بإزالةِ المنكراتِ مِن واقعِ النَّاس، وهم يعملونَ عملًا دؤوبًا بفضل الله -عز وجل- بكلِّ صدقٍ، لا يداهنونَ أحدًا ولا يُحابونَ أحدًا، ولا يُجاملونَ أحدًا، يأمرونَ بالمعروفِ وفقَ القرآنِ والسُّنَّة، وينهونَ عن المنكرِ وفقَ القرآنِ والسُّنَّة، لا يخافونَ في الله لومةَ لائم، ليس لأحدٍ سلطانٌ على أمرهم ونهيهم إلَّا سلطان الله -عز وجل-.

أخي في الله، وأختي في الله في خارجِ دولةِ الإسلام؛ قوموا وأنكروا هذا المنكرَ الَّذي بينَ ظهرانيكم، وانظر أخي وانظري أختي إلى أعظمِ الشِّرك الَّذي انتشر في أرضِكُمْ، وهو شركُ الحُكمِ بغير مَا أنزل اللهُ -عز وجل- وشركُ الطَّاعة الَّذي عمَّ على كلِّ المعمورة، باستثناءِ الأرضِ الَّتي تسيطرُ عليها دولةُ الإسلامِ -أعزّها الله-.

فقطْ هذه الأرضُ أُزِيلَ منها هذا المنكرُ العظيمُ، وأمَّا كلُّ أرضٍ ما عداها؛ ففيها هذا المنكرُ، ولَا حولَ ولا قوَّة إلَّا بالله.

إنَّكَ أخي وإنَّكِ أختي في منكرٍ عظيمٍ، وهو مُكثُكُمْ وبقاؤكم بينَ ظهراني المشركين، أنكروا هذا المنكرَ على أنفسكم أوَّلًا، ثمَّ على غيرِكم، وهاجروا في سبيلِ اللهِ -عز وجل-، وتعالوا إلى أرضِ المعروفِ، وتعالوا إلى أرضِ الإسلامِ.

ثمَّ أُوجِّه الخطابَ إلى كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ داخلَ أرضِ دولةِ الإسلامِ -أعزها الله-؛ أقولُ لهم: لَا عذرَ لكم إنْ تروُا المنكراتِ في أهليكم في بيوتِكم عندَ أقارِبِكُمْ، عندَ آبائكم وأمَّهاتِكُمْ وأعمامكم وأخوالكم وعمَّاتكم وخالاتكم وجيرانِكُمْ؛ وتسكتون، لا يمكنُ لكُمُ السُّكوتُ، ولَا يجوزُ لكم السُّكوتُ، وإن سكتُّم؛ فأنتُمْ وهُمْ في إثمِ الوقوعِ في المنكرِ سواءٌ.

لَا يقولنَّ قائلٌ منكم: إنَّ واجبَ إنكارِ المنكراتِ يقعُ على عاتقِ أبناءِ الحِسبةِ -بارك الله فيهم- فقط، هذا قولٌ باطلٌ، بلْ إنكارُ المنكرِ واجبٌ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ، كما في الحديث الصَّريحِ الصَّحيحِ الَّذي رواه مسلمٌ مِن حديثِ أبي سعيدٍ الخدريِّ -رضي الله عنه- المتقدِّمِ، وفيه قوله: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ -أي: مِنَ المسلمينَ، رجالًا ونساءً- مُنْكَرًا، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ).

أخي وأختي، لَا تقولوا: أنا أستحي مِن أبي، وأستحي مِن أمِّي، وأستحي مِن جاري! أقولُ لكم: استحوا من الله -عز وجل-؛ إنَّ الحياءَ مِن الله أولى، إنَّ الحياءَ من الله أوجبُ، إنَّ الحياءَ من اللهِ أعظمُ.

اتركوا المصالحَ الدُّنيويَّة، واتركوا المطالبَ السُّفلى، واطلبوا المطالبَ العُليا الَّتي عندَ اللهِ -عز وجل-، اطلبوها بالأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عنِ المنكرِ، إنْ أردتُّمُ النَّجاةَ مِن العذابِ ومِنَ الهلاكِ ومنَ اللَّعنة؛ فَأْمُرُوا بالمعروفِ وَانْهَوا عنِ المنكر.

ولَا يقولنَّ منكُمْ قائلٌ: إنَّ العذابَ إذا نزل؛ فإنَّما ينزلُ على أهلِ المنكراتِ فحسب، هذا القولُ باطلٌ، يُبطِلُه قولُ اللهِ -عز وجل-: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥)} [سورة الأنفال].

بيَّن اللهُ -عز وجل- في هذهِ الآيةِ الكريمةِ أنَّ العذابَ إذا نزل؛ لا ينزلُ بأهلِ المنكراتِ خاصَّة، بل ينزلُ بأهلِ المنكراتِ، وبِمَنْ لم يُنكِرُوا عليهِمُ المنكراتِ جميعًا، لا يُسْتَثْنَى أحدٌ.

خرج النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- ذاتَ يومٍ[١] وهو يقول: (وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ)، وحلَّق بالإبهامِ والَّتي تليها، فقالت زينبُ -رضي الله عنها وأرضاها-: يا رسولَ الله، أنهلكُ وفينا الصَّالحونَ؟! قال: (نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ)[٢].

---

[١] لم يروِ أحدٌ هذا اللفظ من الحديث، والصواب: عَنْ زَيْنَبَ ابْنَةِ جَحْشٍ أَنَّهَا قالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ النَّوْمِ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ يَقُولُ: الحديث. وفي لفظ آخر: عَنْ زَيْنَبَ ابْنَةِ جَحْشٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا فَزِعًا يَقُولُ: الحديث.

[٢] متفق عليه.

كيف يكثرُ الخبثُ ويوجد الصَالحونَ؟ يكثر الخبثُ بوجود الصَّالحينَ إذا سكتوا ولم يُنكِرُوا المنكراتِ، حينئذٍ يكثر الخبثُ، وحينئذٍ يَنزِلُ العذابُ بالصَّالحينَ وبالفاسدينَ.

أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ؛ أن يرزقني وإيَّاكم جميعًا أن نقومَ بهذهِ الفريضةِ العظيمةِ؛ أن نَأمُرَ بالمعروفِ، وأن ننهى عن المنكرِ، وأن يجعلَنا جميعًا مِن النَّاجينَ في الدُّنيا والآخرة.

الحلقة الثامنة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، الرَّحمن الرَّحيم، وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على عبده ورسوله النَّبيِّ الأمين، وعلى آله وأصحابه الطَّيبينَ الطَّاهرينَ، ومَن اتَّبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين؛ أمَّا بعد:

فأسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا أن يجعلَني وإيَّاكم جميعًا مِن ورثةِ جنَّة النَّعيم، وأن ينجِّيَني وإيَّاكم جميعًا مِن نار الجحيم؛ إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

أيُّها الأحبَّة، تسلَّحوا بالعلم، تسلَّحوا بالعلم الشَّريف، تسلَّحوا بعلم الكتابِ والسُّنَّة ضدَّ هذه الحربِ الضَّروسِ التي تشنُّها أممُ الكفرِ والشِّركِ والردَّةِ على أمَّة التَّوحيد، أمَّةِ محمَّد ﷺ.

أيُّها الأحبَّة، إنَّ شياطينَ الإنسِ والجنِّ يهجمون على أمَّة النبيِّ -عليه الصلاة والسلام- مِن محورين مهمَّين:

أمَّا المحورُ الأوَّلُ؛ فهو محور الشَّهوات، وأمَّا المحورُ الثَّاني؛ فهو محور الشُّبهات.

فأمَّا المحورُ الأوَّلُ؛ فقد قامَ له المغنُّونَ والمغنِّياتُ والمُطْرِبون والفُسَّاقُ والفجَّارُ والعصاةُ وأهلُ الفجورِ والسُّفورِ والعهرِ والزِّنا والخنا -والعياذ بالله-، وتولَّى كِبْرَهُ أمريكا ومَن خلفها مِن القنواتِ الفضائيَّة، قنواتِ العهرِ والتبرُّجِ والسُّفور -والعياذ بالله-.

وأمَّا المحورُ الثَّاني -محور الشُّبهات-؛ فقد انبرى له علماءُ السُّوء، علماءُ الطَّواغيتِ المرتدِّين، وتولَّى كِبْرَ هذا المحورِ علماءُ جزيرةِ العرب، أخزاهُمُ اللهُ وقبَّحهم، ومكَّن المجاهدينَ منهم؛ إنَّه على ذلك قديرٌ.

فيا أيُّها الأحبَّةُ المسلمونَ، تسلَّحوا لصدِّ هذا الهجومِ بعلم القرآنِ والسُّنَّة، بعلم النبيِّ -عليه الصلاة والسلام-، هذا العلمُ الَّذي فضَّل الله -عز وجل- أهلَه، ورفع منزلتَهُمْ في الدُّنيا، وسيرفعُها في الآخرةِ بإذنِ الله، كما قال اللهُ -عز وجل-: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [سورة المجادلة: ١١].

هذا العلمُ الَّذي رفع اللهُ -عز وجل- شأنَ أهلِهِ؛ فقال سبحانه: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ} [سورة آل عمران: ١٨]، فجعل اللهُ -عز وجل- شهادةَ أهلِ العلمِ قرينةً لشهادتِهِ -سبحانه وتعالى- على أعظمِ مشهودٍ عليه، وهو كلمةُ التَّوحيد: "لا إله إلا الله".

هذا العلمُ الَّذي رفع اللهُ -عز وجل- شأنَه وشأنَ أهلِه؛ فقال سبحانه: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [سورة فاطر: ٢٨]، أي: أنَّ أشدَّ النَّاسِ خشيةً لله -عز وجل- همُ العلماءُ العارفونَ بالله -عز وجل- وبذاتِهِ وصفاتِهِ وكمالِهِ وجلالِهِ سبحانه.

هذا العلمُ الَّذي أخبرَ النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- أنَّ التَّسلُّح به هو سبيلُهُ؛ فقال اللهُ -عز وجل- حكايةً عنه: {قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)} [سورة يوسف].

هذا العلمُ الَّذي مبتدأه العلمُ بالتَّوحيد، كما قال اللهُ -عز وجل-: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩)} [سورة محمد].

هذا العلمُ الَّذي افترضه اللهُ -عز وجل- على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ؛ فقال النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- كما في الحديثِ الصَّحيح: (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ)[١] "ومسلمةٍ"[٢].

[١] رواه ابن ماجه وابن عدي في الكامل، والبيهقي في الشعب عن أنس -رضي الله عنه-، والطبراني في الصغير، والخطيب عن الحسين بن علي رضي الله عنهما والطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما، والطبراني في الكبير عن ابن مسعود. قال الحافظ العراقي: ضَعفه أَحْمد وَالْبَيْهَقِيّ وَغَيرهمَا. وقال الأرنؤوط: حديث حسن بطرقه وشواهده، فيما ذهب إليه المزي والسيوطي وغيرهما من أهل العلم.

علَّق الإمامُ المجدِّدُ أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ -عليه رحمة الله- على هذا الحديثِ فقال: "طلبُ العلمِ فريضةٌ، وبه شفاءُ القلوبِ المريضة".

هذا العلمُ الَّذي مَن سلكَ طريقَهُ؛ سهَّل اللهُ لهُ بهِ طريقًا إلى الجنَّة؛ فصحَّ عن نبيِّنا -عليه الصلاة والسلام- أنَّه قال: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً؛ سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ)[١].

سلوكُ طريقِ طلبِ العلمِ بحضورِ الدَّوراتِ الشَّرعيَّة، وحضورِ الدُّروسِ الشَّرعيَّة، وقراءةِ الكتبِ الشَّرعيَّة، وقراءةِ وسماعِ الأشرطةِ الَّتي تَشرَحُ هذه الكتبَ وتبيِّنُها وتفصِّلُها، هذا كلُّه مِن سلوكِ طريقِ طلبِ العلم الَّذي وعدَ اللهُ -عز وجل- سالكَهُ بتسهيلِ طريقٍ له إلى جنَّةِ اللهِ -سبحانه وتعالى-.

هذا العلمُ سلاحٌ لكَ، وسلاحٌ لكِ أختي، في التَّصدِّي لهذه الحربِ الضَّروسِ الَّتي يشنُّها علينا الكفَّارُ والمرتدُّونَ والمنافقونَ في كلِّ مكان.

ولكن هذا العلم له ضوابط:

أوَّلًا: أن تعلمَ وتعلمي أنَّه لا بدَّ من استحضارِ النيَّةِ قبل البدء بطلبِ العلم الشَّريف؛ لأنَّ العلمَ عبادةٌ يُتقرَّبُ بها إلى اللهِ -عز وجل-، لا بدَّ من استحضارِ النيَّةِ في قوله -عليه الصلاة والسلام-: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)[٢].

فالنيَّةُ هي: الإرادةُ والقصدُ الذي في القلبِ، اجمعْ قلبَكَ على إرادةِ هذا العلمِ الشَّريفِ مِن أجلِ أن تَرفَعَ الجهلَ عن نفسِكَ وعن غيرِكَ، ومِن أجلِ أن تعبدَ اللهَ -عز وجل- كما يحبُّ ويرضى، وتعلِّمَ غيرَكَ مِن خلقِ اللهِ -عز وجل- كيف يعبدون اللهَ -عز وجل- كما يحبُّ

[٢] هذه الزيادة لا أصل لها. قال الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة: قد ألحق بعض المصنفين بآخر هذا الحديث: "ومسلمة"، وليس لها ذكر في شيء من طرقه وإن كان معناها صحيحاً. وقال العجلوني في كشف الخفاء: وقد ألحق بعض المحققين: "ومسلمة" بعد قوله: (ومسلم) وليس لها ذكر في شيء من طرقه وإن كانت صحيحة المعنى. وقال الصالحي في الشذرة: وقد ألحق بعض المصنفين بآخر الحديث: "ومسلمة"، وليس لها ذكر في شيء من طرقه وإن كانت صحيحة المعنى.

[١] رواه مسلم.

[٢] متفق عليه.

ويرضى، وأن تتعلَّمَ هذا العلمَ الشَّريفَ للتَّصدِّي لهذه الحملةِ الصَّليبيَّةِ الكافرةِ الفاجرةِ على أمَّةِ محمَّد ﷺ.

لِتَكُنْ نيَّتُكَ وإرادتُكَ وقصدُكَ طلبَ هذا العلمِ الشَّريفِ؛ لتُنقِذَ النَّاسَ مِن الظُّلماتِ إلى النُّور، ومنَ الشِّركِ إلى التَّوحيد، ومِن الكفرِ إلى الإسلام، ومِن النِّفاق إلى الإيمان، ومِن البدعةِ إلى السُّنَّة، ومِن الضَّلالِ والانحرافِ والأهواءِ إلى الهدى والتَّقوى والصَّلاح.

كلُّ هذا لن يكونَ إلَّا بالعلمِ الشَّريف، فتسلَّحْ أخي، وتسلَّحي أختي؛ بهذا العلم، وليكنْ أوَّلُ ضابطٍ له أن تجمعوا هذه النيَّةَ الصَّحيحة.

ثمَّ الضَّابطُ الثَّاني: أن يُضبَطَ علمُكُمْ بالقرآنِ والسُّنَّة، وأن يُؤخَذَ علمُكم مِن أفواهِ الرِّجالِ الثِّقات، خذوا هذا العلمَ مِن الكتابِ والسُّنة، كما قال اللهُ -عز وجل-: {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ} [سورة البقرة: ٢٣١]، وكما قال اللهُ -عز وجل-: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١)} [سورة البقرة].

فالكتابُ هو القرآنُ، والحكمةُ هي السُّنَّةُ.

يقول اللهُ -عز وجل- آمرًا بالتَّقيُّدِ بالكتابِ والسُّنة: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا} [سورة الحشر: ٧].

ثمَّ -كما قلنا- خذوا العلمَ مِن أفواهِ الرِّجالِ الثِّقات، مِن علماءِ الصَّلاح، مِن علماءِ التَّقوى، العلماءِ الرَّبانيِّينَ الَّذين يَقرِنُونَ القولَ بالعمل، الَّذينَ يُطبِّقونَ العلمَ على واقعِ الحياة، الَّذينَ يؤمنون بالكتابِ كلِّه وبالسُّنَّة كلِّها.

ولا تأخذوا علمَكم مِن علماءِ السُّوءِ الَّذينَ تنظرونَ إليهم كيف أصبحوا جنودًا بيدِ الطَّواغيت، وكلابَ حراسةٍ بيدِ أمريكا ومَن معها مِن الكفَّارِ والمرتدِّينَ، لا يُفتُونَ إلَّا بما تريدُهُ الطَّواغيت؛ ولذلك لَا ترى واحدًا منهُمْ يتمعَّرُ وجهه، ولا يَظهَرُ ليُنْكِرَ مَا يقومُ به الكفَّارُ والمرتدُّونَ مِن قتلِ المسلمينَ والمسلماتِ في دارِ الإسلام.

ثمَّ الضَّابطُ الثَّالثُ لعلمكُمْ: أنْ تقرنوا العلمَ بالعمل، كما قال السَّلفُ كلُّهم: "هتفَ العلمُ بالعمل، فإنْ أجابه وإلَّا ارتحل".

يقولُ اللهُ -عز وجل- مبيِّنًا خطورةَ مَن يعلمُ ويأمرُ النَّاسَ بما يعلم، ولا يعملُ هو بما يعلمُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣)} [سورة الصف].

إنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- لا يقبلُ منكَ أخي، ولا يقبلُ منكِ أختي؛ أن تأمروا النَّاسَ بالمعروفِ ولا تأتوه، وأن تنهَوُا النَّاسَ عن المنكرِ وتأتوه.

ثمَّ الضَّابطُ الَّذي بعد هذا: أنَّ هذا العلمَ الشَّريفَ ثقيلٌ، ولا يقومُ لحمله إلَّا أولو العزائمِ والهمم؛ يقولُ اللهُ -عز وجل- مبيِّنًا ثقلَ هذا العلمِ: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥)} [سورة المزمل].

كان النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- إذا نزلَ عليه الوحيُ وهو راكبٌ على دابَّته، بَرَكَتْ؛ لثقلِ هذا الوحيِ، لثقلِ علمِ القرآنِ والسُّنَّة.

فقوموا لحملِ هذا الثِّقلِ بقيام اللَّيلِ وكثرةِ الدُّعاء والتَّبتُّل والخشوعِ والبكاءِ، واعلموا أنَّ هذا العلمَ فضلٌ مِن الله -عز وجل- يؤتيه مَن يشاءُ، والله واسعٌ عليم، فاسألوا اللهَ مِن فضله، وقوموا لحملِ هذا العلمِ بالقيامِ وكثرةِ التَّبتُّل، وكثرةِ الانكسار والتَّذلُّلِ، وقَرنِ العلمِ بالعمل.

ثمَّ الضَّابطُ الَّذي بعد هذا: أنَّ مَن تكبَّر بعلمه على النَّاس؛ سيطرُدُه اللهُ -عز وجل-؛ يقولُ اللهُ -سبحانه وتعالى-: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [سورة الأعراف: ١٤٦].

تأمَّلْ وتأمَّلي في قوله: {سَأَصْرِفُ}؛ لتعلمَ وتعلمي أنَّ مَن تكبَّر على خلقِ اللهِ -عز وجل- بعلمه؛ سيطرُدُه اللهُ -عز وجل- لا محالة، ولن يهبَ له مِن العلمِ شيئًا، وإنْ وهبَهُ شيئًا مِن علمه؛ فسيسلبه منه، وهو على ذلك قادرٌ.

اعلمْ -أخي- أنَّ الحفاظَ على العلمِ الشَّريفِ لن يكونَ إلَّا بتحقيقِ تقوى الله -سبحانه وتعالى-، كما يقولُ اللهُ -عز وجل-: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ} [سورة البقرة: ٢٨٢]، يقولُ الإمامُ أحمدُ بنُ حنبل -عليه رحمة الله-: "أصلُ العلمِ خشيةُ اللهِ".

أصلُ العلمِ خوفُكَ مِن الله، وخشوعُكَ بينَ يدي الله، وتعظيمُكَ لله -عز وجل- وخشيتُكَ له في السِّرِّ والعلن، في القولِ والعملِ، في الظَّاهرِ في الباطن، في كلِّ أمورِكَ في كلِّ أحوالِكَ في كلِّ أحيانِكَ في كلِّ شؤونِكَ؛ أن تخشى اللهَ -عز وجل-، وأن تُريدَ بعلمك هذا التَّقرُّبَ إلى اللهِ -عز وجل-.

يقول النبيُّ -عليه الصلاة والسلام-: (وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ، أَوْ عَلَيْكَ)[١]، لا يوجدُ خيارٌ ثالثٌ؛ إمَّا لك وإمَّا عليك.

كيف يكونُ لك؟ إنْ أخلصتَ النيَّةَ لله -عز وجل-، وقرنتَ علمَكَ بالعمل، ويكونُ عليكَ؛ إنْ أردتَّ به وجوهَ النَّاس، وإنْ أردتَّ به الدُّنيا، وإن أردتَّ به الشُّهرةَ والمناصبَ والجاهَ والسُّلطانَ.

يقولُ الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ -عليه رحمة الله-: "لأنْ أطلبَ الدُّنيا بالطَّبل والمِزْمَارِ أحبُّ إليَّ مِن أن أطلبَها بالعبادة"، كمْ مِن عالمٍ كانَ في يومٍ مِن الأيَّامِ عالمًا، وكنَّا نحبُّه ونوقِّرُه ونجلُّه، ثم تقرَّب إلى الطَّواغيتِ، وانزلق في هاوية الكفرِ والردَّة!

فيا أخي، ويا أختي؛ اطلبوا مِن اللهِ -عز وجل- أن يهبَ لكم هذا العلمَ الشَّريفَ، وأن يرزقَكُمُ العملَ به والدَّعوةَ إليه والصَّبرَ على الأذى في طريقِ الدَّعوة.

لا بدَّ مِن منهجيَّةٍ في طلبِ العلم:

حفظُ كتابِ اللهِ -عز وجل-: وأنْ تبدأوا بحفظِهِ بكلِّ جدِّيَّةٍ وهمَّةٍ وعزيمة، وبعدَ حفظِ كتابِ اللهِ -عز وجل- يأتي حفظُ السُّنَّة حفظُ سنَّةِ النبيِّ -عليه الصلاة والسلام-، وبعدَ ذلكَ تعلُّمُ علومِ الآلةِ مِن علومِ أصولِ الفقهِ والحديثِ والتَّفسيرِ وتعلُّمِ اللُّغةِ العربيَّة.

---

[١] رواه مسلم.

أوَّلُ شيءٍ نتعلَّمه كتابُ اللهِ وسنَّةُ نبيّنا -عليه الصلاة والسلام-، وأوَّلُ فقهٍ نفقهُهُ مِن القرآنِ والسُّنَّة؛ فقهُ العقيدة، فقهُ التَّوحيد، الَّتي إنْ صحَّتْ صحَّ مَا بعدَها، وإنْ فسدتْ فسدَ مَا بعدَها.

لا بدَّ مِن التَّسلُّحِ بهذا العلمِ الشَّريف، إنِّي أنصحُ كلَّ مَن يسمعُ هذا الكلامَ بأن يستمعَ إلى البرامجِ الَّتي تبثُّها إذاعةُ البيان، بارك اللهُ فيها، وجزى اللهُ -عز وجل- العاملينَ فيها خيرَ الجزاء؛ فقد قامَ الإخوةُ في هذه الإذاعةِ ببثِّ برامجَ متنوّعةٍ وشاملةٍ لكلِّ الدِّين، في العقيدةِ والفقهِ والأخلاقِ والآدابِ والسِّير، وفي كلِّ ما يهمُّ المسلمَ في أمورِ دينِه ودنياه.

فإنْ عجزتُمْ عن طلبِ العلمِ في الدَّوراتِ والدُّروسِ، ولم تجدوا عالمًا ربَّانيًّا يعلِّمُكُمْ دينَ الله؛ فدونكُمْ إذاعة البيان، ثمَّ دونكُمْ كتب أئمَّةِ الإسلامِ المتقدِّمينَ، ومَن بعدَهم مِن العلماءِ الرَّبانيّين.

واعلمْ -أخي- أنَّ هذا العلمَ فضلٌ مِن الله، وعلامةٌ على إرادةِ الخيرِ بالعبدِ الَّذي يُسَخِّرُهُ اللهُ لطلبِ العلم؛ يقولُ النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- مبيّنًا لنا ذلك: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا، يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)[١]، فإنْ أرادَ اللهُ بك خيرًا؛ سخَّرك للتَّفقُّه في الدِّينِ.

إنَّ النبيَّ -عليه الصلاة والسلام- أحبَّ ابنَ عمِّه عبدَ الله بنَ عبَّاس -رضي الله عنهما-، فدعا له بأحبِّ دعوةٍ، فقال: (اللهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ)[٢].

إنَّ نبيَّنا ﷺ دعا، ودعاءُ النبيِّ مستجابٌ، دعا لطالبِ العلمِ الَّذي يتعلَّمُ العلمَ الشَّريفَ عِلْمَ القرآنِ والسُّنة، وينقلُه إلى خلقِ اللهِ -سبحانه وتعالى- بكلِّ أمانة، فقال: (نَضَّرَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي، فَوَعَاهَا، فأدَّاها كما سمعها؛ فربَّ مُبلِّغٍ أوعى مِن سامعٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ)[٣].

---

[١] رواه البخاري.

[٢] رواه أحمد وابن حبان والطبراني، قال الأرنؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن عثمان بن خثيم، فمن رجال مسلم، وهو صدوق.

[٣] رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد وابن حبان، قال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

أســألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العــرشِ العظيمِ؛ أن تشــملَني وإيَّــاكم جميعًــا هــذه الــدَّعوةُ المستجابةُ؛ إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

الحلقة التاسعة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، إله الأوَّلين والآخرين، وصلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله النبيِّ الأمين، وعلى آله وأصحابه الطَّيبينَ الطَّاهرين، ومَن اتَّبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين؛ أمَّا بعد:

إخواني في الله، وأخواتي في الله، السَّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ، أحببتُ أن أذكِّرَكُمْ بأمرٍ عظيمٍ مِن أمورِ هذا الدِّينِ العظيم، أمرٌ عظَّمه الله -سبحانه وتعالى- في القرآن والسُّنَّة، وحضَّ عليه ورغَّب فيه، وحذَّر مِن تركه والتَّخلُّفِ عنه، ألَا وهو عبادةُ الجهادِ في سبيلِ الله، نعم، عبادةُ الجهادِ في سبيلِ الله، عبادةٌ فرضها اللهُ -سبحانه وتعالى- على عبيدِهِ المؤمنين، باستثناءِ المعذورينَ منهم بأعذارٍ شرعيَّة.

يقولُ اللهُ -عز وجل- مبيّنًا أنَّه فرضَ الجهادَ في سبيل الله على المؤمنينَ في قوله: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)} [سورة البقرة].

ثمَّ بيَّن اللهُ -عز وجل- الغايةَ مِن هذه الفريضةِ العظيمة، وذلك في قوله: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ۚ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٤٠)} [سورة الأنفال].

ثمَّ أمر اللهُ -سبحانه وتعالى- نبيَّه -عليه الصلاة والسلام- بهذا القتالِ في سبيلِ الله؛ لتقتديَ به الأمَّةُ جمعاء، وذلك في قوله -سبحانه وتعالى-: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا (٨٤)} [سورة النساء].

وبيَّن اللهُ -عز وجل- الأعداءَ الذين يقاتلهُمُ المسلمونَ، وذلك في قوله -سبحانه وتعالى-: {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦)} [سورة التوبة].

ثمَّ رغَّب اللهُ -عز وجل- في هذا الجهادِ المباركِ في قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١)} [سورة الصف].

وفي قوله: {الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢)} [سورة التوبة].

ثمَّ عاتب اللهُ -عز وجل- المتخلِّفينَ عن هذا الجهادِ العظيمِ فقال: {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ}، أخي في الله، هذا عتابٌ مِن الله، وليس منِّي وليس مِن أحدٍ غيري؛ إنَّه عتابٌ ربَّانيٌّ مِن فوقِ سبعِ سماواتٍ لكَ أنت! نعمْ، لكَ أنتَ يا مَن تسمعُ هذهِ الكلماتِ، وهذا العتابُ يحتاجُ إلى جواب: {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا (٧٥)} [سورة النساء].

نعم، ستعتذرُ بعدَّة أعذارٍ؛ ستقولُ: زوجتي وأبنائي وبناتي وأهلي ووظيفتي وراتبي وعملي ودنياي...، فأقولُ لك:

لقد جمعَ اللهُ -عز وجل- كلَّ هذه الأعذارِ تحتَ ثمانيةِ أصولٍ تشملُها جميعًا، وردَّ عليها، فقال اللهُ -عز وجل-: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤)} [سورة التوبة].

ثمَّ انتقلَ الخطابُ الرَّبَّانيُّ مِن العتابِ إلى التَّهديدِ والوعيدِ؛ فقال اللهُ -عز وجل-: {إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}.

يا مَن تقرأ هذه الآياتِ منذُ سنين، لا تغفلْ أنَّكَ أنتَ المخاطب، لا تغفلْ أنَّك أنت المقصود، إنَّ اللهَ يقولُ لك أنت! نعمْ أنتَ الَّذي تسمعُ هذه الكلماتِ: {إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًاۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)} [سورة التوبة].

لقد أنزل اللهُ -سبحانه وتعالى- الوعيدَ الشَّديدَ على القاعدينَ مِن غير عذرٍ شرعيٍّ عن عبادةِ الجهادِ في سبيل الله، تأمَّل -أخي في الله- في قوله: {وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦)} [سورة التوبة].

يا عبدَ الله، يا مَن تسمعُ هذه الكلماتِ؛ إنْ كَرِهَكَ اللهُ -عز وجل-؛ فماذا تنفعُكَ الدُّنيا؟! إنْ كرهك اللهُ -عز وجل-؛ فكيف ستقدُمُ عليه يومَ القيامة؟! واللهِ إنْ كان ربِّي يُحِبُّني فالموتُ ثمَّ الموتُ خيرٌ لي مِن أحسنِ حياة، واللهِ إنَّ الموتَ خيرٌ لي حينئذٍ مِن كلِّ أموالِ الدُّنيا وكنوزِهَا.

أخي في الله، قمْ للجهاد وأبشرْ بمحبَّةِ الله، إنَّ اللهَ يكرهُ القاعدينَ، ولكنَّه يُحبُّ المجاهدينَ، ألم تسمعْ قولَهُ -سبحانه وتعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤)} [سورة المائدة: ٥٤].

انظرْ إلى قوله: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ}، وانتبه واعلمْ أنَّ هذا معناه: أنَّ اللهَ هو الَّذي يختارُ المجاهدين، وليسوا هُمُ الَّذين يختارونَ الجهاد، معناه: أنَّ اللهَ هو الَّذي يصطفي المجاهدينَ، وليسوا هُمُ الَّذين يصطفون أنفسَهُمْ للجهاد، وهذا ظاهرٌ في سورةِ الحجِّ في قوله سبحانه: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ}.

{فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ} انتبه؛ لقد سبقتْ محبَّةُ اللهِ للمجاهدينَ محبَّتَهُمْ لربِّ العالمينَ: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ}، هذه هي العزَّةُ التي خُلِقْتَ لها أيُّها المسلم، وأمَّا الذِّلَّةُ فليستْ لك ولستَ لها؛ فهي للكفَّار والمرتدِّين، فقمْ يا أخي والحقْ بركبِ الرِّجال، قمْ والحقْ بركبِ المجاهدينَ.

إنَّ الغَيْرَةَ التي تستعرُ نارُها في قلبكَ هي غيرةُ التَّابعين، وإنَّ الدَّمَ الحارَّ الَّذي لا يبيتُ على الضَّيم الَّذي يَسرِي في عروقك هو دمُ الصَّحابةِ الكرام، فقمْ أخي في الله، قمْ معَ أحفادِ الصَّحابةِ والتَّابعين، وأجبْ استنفارَ اللهِ -عز وجل- لكَ، وذلك في قوله: {انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١)} [سورة التوبة].

إنَّ النبيَّ -عليه الصلاة والسلام- بيَّن لكلِّ مسلمٍ يُحبُّ دينَهُ؛ أنَّ الجهادَ في سبيلِ الله أفضلُ عملٍ تطوُّعيٍّ يَتقرَّبُ به إلى الله -سبحانه وتعالى-؛ فعن أبي هريرةَ -رضي الله عنه- قال: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ: أيُّ العملِ أفضلُ؟ فقال: (إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ)، قيلَ: ثمَّ أي؟ قال: (جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللهِ)، قيلَ: ثمَّ أي؟ قال: (حَجٌّ مَبْرُورٌ)[١].

وعنه -عليه الصلاة والسلام- أنَّه قال: (مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ، الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللهِ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلَا صَلَاةٍ)[٢].

إنَّ أبا هريرةَ -رضي الله عنه وأرضاه- راوي حديثِ رسولِ اللهِ وحافظُ الأمَّة؛ يختصرُ لنا كلَّ أحاديثِ فضلِ الرِّباطِ في سبيل الله في كلمةٍ هو قالها -رضي الله عنه وأرضاه-؛ يقولُ أبو هريرة: "لَأَنْ أُرابِطَ ليلةً في سبيل الله أحبُّ إليَّ مِن أن أُوافِقَ ليلةَ القدرِ عندَ الحجرِ الأسودِ".

---

[١] متفق عليه.

[٢] رواه مسلم.

يقولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ -عليه رحمة الله-: "لم يردْ في نصوصِ الشَّريعةِ أكثر ممَّا وردَ في الصَّلاة والجهاد؛ لأنَّ الصَّلاةَ هي عمودُ إسلامِ الفرد، والجهادَ هو عمودُ إسلامِ الجماعة".

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ -عليه رحمة الله-: "ومَن كَثُرَتْ ذنوبُه؛ فلا دواءَ له أعظم مِن الجهادِ في سبيلِ الله".

لقد أخذ هذا الكلامَ مِن قوله -عليه الصلاة والسلام-: (إِنَّ السَّيْفَ مَحَّاءٌ لِلْخَطَايَا)[١].

يا مَن كثرتْ عليكَ الهمومُ، وكثرتْ عليكَ الغمومُ والأحزانُ، هل تريدُ الحلَّ؟ إنَّ الحلَّ في قوله -عليه الصلاة والسلام-: (عَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ؛ فَإِنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، يُذْهِبُ اللهُ بِهِ الْهَمَّ وَالْغَمَّ)[٢].

يا مَن تطلبُ السِّياحةَ والأنسَ بهذه الطَّبيعة، هل تريدُ نصيحةً أعظم؟ إنَّها في قوله -عليه الصلاة والسلام- لمَّا جاءه رجلٌ وقال له: ائذنْ لي بالسِّياحة، قال له -عليه الصلاة والسلام-: (إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ)[٣].

يا مَن تريدُ النَّجاةَ منَ النَّار، اسمعْ لقوله -عليه الصلاة والسلام-: (مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ حَرَّمَهُمَا اللَّهُ عَلَى النَّارِ)[٤]، وإلى قوله -عليه الصلاة والسلام-: (لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ)[٥].

يا مَن تريدُ الاجتهادَ في التَّعبُّدِ، والقربةَ إلى اللهِ -عز وجل-، والزُّهدَ في الدُّنيا؛ اسمعْ لقوله -عليه الصلاة والسلام-: (قيامُ ساعةٍ في الصَّفِّ خيرٌ مِن عبادةِ ستِّينَ سنةً)[٦].

---

[١] رواه أحمد وابن حبان والطبراني في الكبير والبيهقي بطرق مختلفة. قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

[٢] رواه أحمد والبيهقي والحاكم، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، علق الذهبي بقوله: صحيح.

[٣] رواه أبو داود، قال النووي في رياض الصالحين: إسناده جيد. وصححه عبد الحق الإشبيلي، وجوّد إسناده العراقي في تخريج أحاديث الإحياء.

[٤] رواه أحمد وهذا لفظه، ورواه البخاري والترمذي وغيرهم.

[٥] رواه أحمد والنسائي. قال الأرنؤوط: صحيح بطرقه وشواهده.

[٦] رواه ابن عدي في الكامل وابن عساكر في تاريخه عن أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه بنحوه الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك من طريق عمران بن حصين رضي الله عنه، وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن هشام إلا يحيى، تفرد به: عبد الله. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، وقال الذهبي على شرط مسلم.

فيا أيُّها المسلمونَ، قوموا لنصرةِ دينِكُمْ، وأجيبوا داعيَ اللهِ -عز وجل-، واقتدوا بنبيِّكم -عليه الصلاة والسلام-، وانظروا يا إخواني، إنْ أردتُّمُ الجوابَ على كلِّ شبهاتِ المرجفينَ، وعلى كلِّ شبهاتِ علماءِ الطَّواغيتِ المرتدِّين، أجيبُكُمْ بآيةٍ واحدةٍ تكفي لمن كانَ له قلبٌ أو ألقى السَّمعَ وهو شهيد.

يقولُ اللهُ -عز وجل-: {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦)} [سورة النساء].

انتبهْ أخي في الله، إنَّ اللهَ -عز وجل- بيَّن في هذه الآيةِ أنَّ أهلَ الأرضِ انقسموا إلى قسمينِ اثنينِ لا ثالثَ لهما: القسمُ الأوَّلُ هو صفُّ المؤمنينَ، والقسمُ الثَّاني هو صفُّ الكافرين.

ثمَّ بيَّن اللهُ -عز وجل- أنَّ الصَّفَّ الأوَّلَ يُقاتِلُ، وأنَّ الصَّفَّ الثَّاني يُقاتِل، ثمَّ انظرْ الآنَ إلى واقعِكَ، مَن يحملُ رايةَ "لا إله إلَّا الله، محمَّدٌ رسولُ الله"؟ هُمُ المجاهدونَ مِن المهاجرينَ والأنصارِ مِن العربِ والعجم.

ثمَّ انظرْ إلى رايةِ الكفرِ مَن يحملُها؟ إنَّهُمُ الكفَّارُ مِن كلِّ المللِ والنِّحل، إنَّهُمُ اليهودُ والنَّصارى والمجوسُ والهندوسُ والشُّيوعيُّون، إنَّهُمُ المرتدُّونَ مِن العربِ والعجم.

فمَن الَّذي على الحقِّ؟ ومَن الَّذي على الباطل؟ هل يشكُّ عاقلٌ مسلمٌ بوجوبِ نصرةِ المؤمنينَ والوقوفِ في صفِّهِمْ؟! ووجوبِ عداوةِ الكفَّارِ والبراءةِ منهُمْ؟!

احسمْ أمرَكَ، وانظرْ إلى قوله -عز وجل-: {فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ}، أمر اللهُ -عز وجل- كلَّ المؤمنينَ بأن يقاتلوا أولياءَ الشَّياطينِ مِن الإنسِ والجنِّ، {فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}.

أختمُ بقولِ اللهِ -عز وجل-: {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِۚ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤)} [سورة النساء].

أسـألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العـرشِ العظيمِ أن يجعلَـني وإيَّـاكم جميعًـا مِن الهـداةِ المهتـدينَ، وجزاكُمُ الله خيرًا، وبارَكَ فيكُمْ، والسَّلامُ عليكُمْ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ.

الحلقة العاشرة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، إله الأوَّلين والآخرين، وصلَّى اللهُ وسلَّم على عبده ورسوله النبيِّ الأمين، وعلى آله وأصحابه الطَّيِّبينَ الطَّاهرين، ومنِ اتَّبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين؛ أمَّا بعد:

فهذه كلماتٌ أرسلها إلى عدَّةِ أنواعٍ مِن النَّاس:

أمَّا الأوَّل: فهُمُ المجاهدونَ في سبيلِ اللهِ منَ المهاجرينَ والأنصارِ في كلِّ ولاياتِ دولةِ الإسلام.

وأمَّا الثَّاني: فهُمُ القاعدونَ عن الجهادِ في سبيلِ اللهِ من غيرِ أصحابِ الأعذارِ في كلِّ ولاياتِ دولةِ الإسلام.

وأمَّا الثَّالث: فهُمُ المجاهدونَ في سبيلِ اللهِ الَّذين ينكِّلونَ بأعداءِ اللهِ -عز وجل- في دارِ الكفر.

وأمَّا الرَّابع: فهُمُ الموحِّدونَ المُستَضْعَفُونَ في دارِ الكفرِ الَّذين لَا يستطيعونَ حيلةً ولَا يهتدونَ سبيلًا.

إلى هؤلاءِ جميعًا أقولُ:

السَّلامُ عليكُمْ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ؛ إخواني في الله، إنَّكم ترون حالَ أمَّةِ نبيِّنا -عليه الصلاة والسلام- ومَا يُعَانِيهِ المسلمونَ والمسلماتُ مِن شدَّةِ ضغطِ حربِ الكفَّارِ عليهم، إنَّكم ترونَ كيف اجتمعَ العالَمُ بأسره على أمَّة محمَّد ﷺ برًّا وبحرًا وجوًّا، عسكريًّا واقتصاديًّا وإعلاميًّا وأمنيًّا، وعلى كلِّ الأصعدةِ والجوانب.

وجاءوا بحدِّهم وحديدِهم مِن كلِّ حدبٍ ينسلون، ولدينِ اللهِ -عز وجل- يحاربون، يرفعون رايةَ الصَّليب، وقد جيَّشوا جيوشَهم مِن الكفَّارِ والمرتدِّينَ مِن العربِ والعجم، وجاءوا يقاتلونَ الموحِّدينَ ويضغطونَ على رعيَّةِ أميرِ المؤمنينَ قصفًا بالصَّواريخِ وتدميرًا بالمدفعيَّة؛ ولهذا كلِّه أقولُ لكُمْ جميعًا أيُّها الإخوةُ الأكارم:

هبُّوا هبُّوا وقوموا لنصرةِ هذا الدِّينِ، هبُّوا إلى أمرٍ واحد، وأقبِلُوا جميعًا على أمرٍ واحد، وهو بذلُ النُّفوسِ رخيصةً في سبيلِ الله، كما قالَ الإمامُ الزَّرقاويُّ -عليه رحمة الله-: "إنَّما هي بذلُ الرُّوح، وإلَّا فلا تشتغلْ بالتُّرَّهاتِ".

يقولُ اللهُ -عز وجل-: {وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ (١٥٤)} [سورة البقرة].

ويقولُ اللهُ -عز وجل-: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢)} [سورة آل عمران].

لقد نزلتْ هذهِ الآياتُ الكريماتُ في شهداءِ أُحُد، لمَّا دخلوا جنَّةَ اللهِ -عز وجل- بأرواحِهِمْ؛ تمنَّوا أن يرجعوا إلى الدُّنيا فيُخبِروا أصحابَهُمْ بما وجدوه مِن طيبِ المَعيشِ والمأكلِ والمشرب، فقال لهُمُ اللهُ -عز وجل-: {أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ}[١]، فأنزلَ هذهِ الآياتِ الكريمات.

يقولُ اللهُ -عز وجل- مبيِّنًا أنَّ أشرفَ عقدٍ يَعقِدُه المؤمنُ هو عقدُ الشَّهادةِ في سبيلِ اللهِ مع ربِّ العالمينَ -سبحانه وتعالى-؛ وذلك في سورةِ براءةَ في قوله -عز وجل-: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ

[١] رواه الطبري في تفسيره وابن هشام في السيرة وأحمد في مسنده. قال الأرنؤوط: حديث حسن.

وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)}.

فالسِّلعةُ هي الرُّوح، والثَّمنُ هو الجنَّة، والمشتري هو الله، والبائعُ همُ المؤمنون، والشَّرطُ هو القتلُ والقتالُ، والعهدُ والضَّمانُ عهدُ اللهِ -عز وجل-، والكتابُ الَّذي وُثِّقَ فيه العقدُ هو التَّوراةُ والإنجيلُ والقرآنُ.

فيا أبناءَ الجهادِ، يَا أيُّها المسلمونَ المتخلِّفونَ عن الجهادِ، يَا أيُّها الموحِّدونَ في دارِ الكفرِ المستضعفون، يَا أيُّها المجاهدونَ الَّذين يُنكِّلونَ بأعداءِ الله -عز وجل- في دارِ الكفر! هُبُّوا للشَّهادة، أقبلوا عليها، واستبشروا بقولِ اللهِ -عز وجل-: {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤)} [سورة النساء].

إنَّ أذكى النَّاسِ بعدَ الأنبياءِ والصَّحابةِ هُمُ الشُّهداءُ في سبيلِ اللهِ مِن هذهِ الأمَّة، لِمَ؟ لأنَّ الشَّهيدَ قرأ قولَ اللهِ -عز وجل-: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} [سورة آل عمران: ١٨٥]، فأيقنَ بالموت.

قرأ قولَ اللهِ -عز وجل-: {وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨)} [سورة آل عمران]، فأيقنَ بأنَّ القتلَ في سبيلِ اللهِ والموتَ على "لا إله إلا الله" في الحالِ سواءٌ، ولكنَّ الفرقَ كلَّ الفرقِ في المآل.

فمآلُ القتيلِ في سبيلِ اللهِ شهادةٌ ودخولٌ إلى جنَّةِ اللهِ -عز وجل- مِن غيرِ حسابٍ ولا سابقِ عذابٍ، وأمَّا الميِّتُ مِن غيرِ قتلٍ فينتظرُهُ الحساب، وينتظرُهُ قبلَ الحسابِ السُّؤالانِ العظيمانِ في القبر.

جاءَ الصَّحابةُ إلى النبيِّ -عليه الصلاة والسلام- فقالوا: يا رسولَ الله، مَا بالُ الشُّهداءِ لَا يُفتَنُونَ في قبورِهِمْ؟ قال النبيُّ -عليه الصلاة والسلام-: (كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً)[١].

[١] رواه النسائي. قال ابن قطان معلقًا على الحديث في بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام لعبد الحق الإشبيلي: وسكت عنه مصححا له.

إنَّ نبيَّنـا -عليـه الصـلاة والسـلام- تمنَّى أُمْنِيَـةً واحـدةً، وهي في قولـه -عليـه الصـلاة والسـلام-: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنْ أَغْزُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلَ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلَ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلَ)[١].

إخواني في الله، إنْ كانَ الَّذي يمنعُكُمْ مِن الإقدامِ إلى الشَّهادةِ في سبيل الله؛ الخوفَ مِن ألمِ القتل؛ فأيقِنُوا بقوله -عليه الصلاة والسلام-: (لَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِن ألمِ القتلِ إلَّا كمسِّ القرصة)[٢]، قرصةٌ خفيفةٌ لثوانٍ، وبعدَها دخولُ جنَّةِ اللهِ -سبحانه وتعالى-.

جاء التَّابعونَ إلى ابنِ مسعودٍ -رضي الله عنه وأرضاه- يسألونه عن روحِ الشَّهيد، يقولُ مسروقٌ -رحمه الله تعالى-: سَأَلْنَا ابنَ مسعودٍ -رضي الله عنه وأرضاه-: أينَ تذهبُ أرواحُ الشُّهداء؟ فقال: "إنَّا قدْ سألنا عن ذلكَ رسولَ اللهِ ﷺ فقال: (إنَّ أرواحَهُمْ في أجوافِ طيرٍ خُضْرٍ، تَسرَحُ من الجنَّة حيثُ شاءت، ثمَّ تأوي إلى قناديلَ معلَّقةٍ بعرشِ الرَّحمن)[٣]".

أخي في الله، جسدُكَ هذا الَّذي سيتطايرُ بالصَّاروخِ أو بالعمليَّةِ الاستشهاديَّة، أو سوفَ تثقِّبُهُ رصاصاتُ الكفَّارِ والمرتدِّين، هذا الجسدُ الَّذي ستحرقه الصَّواريخ؛ سيُبدِلُكَ اللهُ -عز وجل- به جسدَ طيرٍ أخضر، تأوي إليه روحُكَ في جوفِهِ في حَوْصَلَتِه، ثمَّ يطيرُ هذا الطَّائرُ بروحِكَ في جنَّة اللهِ -عز وجل-، يأكلُ منها ويشربُ حيثُ شاءَ وأينَ شاءَ ومتى شاء، ثمَّ يرجعُ ليأوي في قنديلٍ معلَّقٍ بعرشِ اللهِ -عز وجل- فوقَ السَّماءِ السَّابعة.

أيُّها الأكارمُ، إنَّ اللهَ -عز وجل- بيَّن أنَّ حالَ المؤمنينَ الصَّادقينَ بينَ قتيلٍ قُتِلَ في سبيلِ الله، وبينَ ثابتٍ على أمرِ اللهِ ينتظرُ أن يُقتَلَ في سبيلِ الله؛ فقال اللهُ -عز وجل-: {مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣)} [سورة الأحزاب].

إخواني، [قال النبي ﷺ:] (إنَّ للشَّهيدِ في سبيلِ اللهِ سبعَ خصالٍ: يُغفَرُ له عندَ أوَّلِ دفعةٍ مِن دمه، ويُرى مقعدَهُ في الجنَّة، ويُؤمَّنُ مِن فتنةِ القبرِ وعذابِهِ، ويُؤمَّنُ من الفزعِ الأكبرِ

---

[١] رواه أحمد والبخاري.

[٢] رواه الترمذي والنسائي والدارمي وقال الترمذي: هذا حديث حسنٌ غَرِيبٌ صَحيحٌ.

[٣] رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صَحِيحٌ.

يومَ القيامة، ويُشَفَّعُ في سبعينَ مِن أهله الموحِّدين، ويُزوَّجُ باثنتينِ وسبعينَ مِن الحورِ العين، ويُلبَسُ تاجَ الوقارِ، الياقُوتَةُ فيه خيرٌ منَ الدُّنيا ومَا فيها)[١].

يا إخواني، أقبلوا على الشَّهادةِ في سبيلِ الله، وابذلوا أرواحَكُمْ مِن أجلِ دينِ الله، قدِّموا الأرواحَ رخيصةً قُربةً إلى اللهِ -سبحانه وتعالى-، وانظروا إلى أصحابِ نبيِّنا -عليه الصلاة والسلام- كيف جادوا بأرواحِهم.

انظروا إلى خُبَيْبِ بنِ عديٍّ -رضي الله عنه وأرضاه- عندما علَّقه المشركونَ على الجذعِ حتَّى يَقتُلوه بالسِّهامِ والرِّماح؛ ارتجزَ وقال:

ولستُ أُبالي حين أُقتَلُ مُسْلِمًا *** على أيِّ شِقٍّ كانَ للهِ مَصرَعِي
وذلكَ في ذاتِ الإلهِ وإنْ يَشَأْ *** يُبَارِكْ عَلَى أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

إنَّ الجنَّةَ قد فُتِحَت أبوابُها، وإنَّ الحورَ قد تزيَّنتْ لخطَّابِها، ألا فأقبلوا على الجنَّة -يا إخوة- الَّتي وصفها ربُّ العالمينَ في القرآنِ الكريمِ بأجملِ الأوصاف.

فقال اللهُ -عز وجل-: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍۖذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥)} [سورة ق].

وفي قوله سبحانه: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨) لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦)} [سورة الغاشية].

انظرْ إلى قولِ اللهِ -عز وجل-: {إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًاۖوَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ (٢٤)} [سورة الحج].

---

[١] رواه أحمد والطبراني وابن ماجه والترمذي بألفاظ متقاربة من طريق المقدام بن معدي كرب -رضي الله عنه-، قال الترمذي: صحيح غريب.

إنَّ اللهَ -عز وجل- قد حرَّضَ المؤمنينَ على الإسراعِ إلى جنَّة الله ربِّ العالمين، فقال: {وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)} [سورة آل عمران].

ما لكم وللدُّنيا؟! ما لكم ولزينةِ الدُّنيا؟! أيُّها المجاهدونَ في سبيلِ الله، يا مَن نذرتُمْ أرواحَكم لِنصرةِ دين الله، وقُمتُمْ تَبنُونَ دولةَ الإسلامِ بدمائكم وأشلائكم، وأقامَكُمْ أمرُ اللهِ -عز وجل- وأمرُ رسولِهِ بالجهاد!

اسمعوا للشَّيخِ يوسفَ العَيِيْري -تقبله الله- ماذا يقول؟ يقولُ الشَّيخُ يوسفُ -عليه رحمة الله، وجزاه الله عن أمَّة محمَّد خيرَ الجزاء-: "إنَّ هذهِ الأمَّةَ سفينة، وقودُها دماءُ الشَّباب، لن تسيرَ إلَّا على جماجِمِهِمْ وبدمائهم، فاسكُبُوا دماءكم لتسيرَ السَّفينةُ، ولتتدحرجْ جماجمُكم لتسيرَ سفينةُ أمَّةِ محمَّدٍ -عليه الصلاة والسلام-".

أيُّها المجاهدونَ! مَا لكم ولزينةِ الدُّنيا؟! دعوها، وانطلقوا إلى أكملِ زينةٍ وإلى أكملِ جمال، انطلقوا إلى دار النَّعيمِ المقيمِ، أقبلوا على الشَّهادةِ في سبيلِ الله، أقبلوا على العمليَّاتِ الاستشهاديَّة؛ فواللهِ إنَّ هذهِ الأمَّةَ لن تُهزَمَ ولن تُخذَلَ مَا دامَ فيها استشهاديُّونَ يستعذبونَ المنونَ، ويستعذبونَ الموتَ في سبيلِ الله.

إنَّ النَّاسَ كلَّ النَّاسِ يهربونَ مِن الموتِ طلبًا للحياة، وإنَّ الشَّهيدَ في سبيلِ الله يُطاردُ الموتَ طلبًا للحياة، هذه هي الحقيقةُ؛ فالشَّهيدُ ينتقَّلُ مِن حياةٍ إلى حياةٍ أجملَ وأكملَ، يُطارِدُ الموتَ بحثًا عن الحياة.

إنَّ اللهَ -عز وجل- جعل تمنِّيَ الموتِ والسَّعيَ إليه في سبيلِ اللهِ علامةً على صدقِ الإيمان، قال اللهُ -عز وجل-: {فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤)} [سورة البقرة].

فيا أيُّها الإخوةُ الكرامُ، قوموا وسعِّروا هذهِ الحربَ، قومُوا وسعِّروها بالعمليَّاتِ الاستشهاديَّة، وأقبلوا على الشَّهادةِ في سبيلِ الله، ونكِّلوا بأعداءِ الله -عز وجل-، وانصُروا دينَ اللهِ -سبحانه وتعالى-، وأقبلوا على الشَّهادة.

أســألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العــرشِ العظيمِ بكلِّ أســمائه الحســنى وبكلِّ صــفاته العلا؛ أن يجعلَ هذهِ الكلماتِ سببًا في إقبالي وإقبالِكُمْ جميعًا على الشَّهادةِ في سبيل الله، وأن يَرزُقَني وإيَّاكم شهادةً في سبيله مقبلينَ غيرَ مدبرين، صابرينَ مُحتسِبينَ، اللهمَّ آمين.

الحلقة الحادية عشرة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، إله الأوَّلين والآخرين، وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على عبده ورسوله النبيِّ الأمين، وعلى آله وأصحابه الطَّيِّبينَ الطَّاهرين، ومَن اتَّبعهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين؛ أمَّا بعد:

فأسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ؛ أن يجعلني وإيَّاكم جميعًا مِن الهداةِ المهتدين، ومِن الصَّالحينَ المصلحين؛ إنَّه وليُّ ذلكَ والقادرُ عليه، ثمَّ أمَّا بعد:

فيقولُ اللهُ -عز وجل-: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ} [سورة التوبة: ١٠٣].

في هذهِ الآيةِ العظيمةِ يُبيِّنُ اللهُ -سبحانه وتعالى- عظيمَ نفعِ الصَّدقةِ لمَن يتصدَّقُ بها في سبيل الله -عز وجل-، ويُبيِّنُ اللهُ -سبحانه وتعالى- أنَّ الصَّدقةَ طهارةٌ: طهارةٌ للقلب، وطهارةٌ لِلِّسان، وطهارةٌ للجوارح، طهارةٌ مِن الذُّنوبِ والخطايا والمعاصي.

كما قال: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا} أي: وتُنقِّيهم؛ فالزَّكاةُ معناها: الطَّهارةُ والنَّقاءُ، والزِّيادةُ والنَّماء.

تأمَّلْ -يا عبد الله- في هذه المعاني العظيمة: الطَّهارةُ والنَّقاءُ، والزِّيادةُ والنَّماء، قبل أن يزيدَ أجرُك، وقبلَ أن ينموَ أجرُك، وقبل أن يزيدَ مالُكَ وقبلَ أن ينموَ مالُكَ: لا بدَّ مِن طهارةٍ للمال وطهارةٍ للرُّوح وطهارةٍ للبدن، وطهارةٍ للقلب وطهارةٍ للجوارح، ولا بدَّ بعدَ ذلكَ مِن نقاءٍ تامٍّ، ثمَّ يحصلُ بعد ذلك الزِّيادةُ والنَّماء.

لقد بيَّن القرآنُ الكريمُ، وبيَّنتْ سنَّةُ نبيِّنا ﷺ عظيمَ أجرِ الصَّدقةِ؛ فقالَ اللهُ -عز وجل-: {مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)} [سورة البقرة].

وصحَّ عن نبيِّنا -عليه الصلاة والسلام- أنَّه قال: (وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ)[١]، وصحَّ عنه -عليه الصلاة والسلام- أنَّه قال: (اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)[٢].

ولكنْ أخي في الله، وأختي في الله؛ حديثي إليكُمْ ليسَ عن فضلِ الصَّدقة، بلْ عن آدابِ هذهِ الصَّدقةِ وحقيقتِهَا، وكيفَ تكونُ، ومَا هي ضوابطُها.

إنَّ الصَّدقةَ عبادةٌ يتقرَّبُ بها الموحِّدُ إلى اللهِ -عز وجل-، وإذا علمنا هذا؛ علمنا أنَّه لا بدَّ فيها مِن تحقيقِ أمرين:

أمَّا الأوَّلُ؛ فأنْ تكونَ خالصةً لوجه الله -عز وجل- لَا لشهرةٍ ولَا لرياءٍ ولَا لمحمدةٍ ولَا لثناء، بلْ خالصةً لوجه الله -عز وجل- كما قال: {لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)} [سورة النساء].

فترتَّب الأجرُ العظيمُ على ابتغاءِ مرضاةِ اللهِ -عز وجل- بالعبادات، فلا بدَّ أن تبتغيَ بصدقتِكَ -أخي في الله، وأختي في الله- مرضاةَ اللهِ -عز وجل-، وهذا هو الشَّرطُ الأوَّلُ.

وأمَّا الثَّاني؛ فأنْ تكونَ وفقَ سنَّة نبيِّنا ﷺ، كما صحَّ عنه -عليه الصلاة والسلام- أنَّه قال: (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)[٣]، أي: فهو مردودٌ عليه.

والأمرُ الآخرُ في الصَّدقة أنَّها لا بدَّ أن تكونَ مِن مالٍ حلالٍ طيِّبٍ طاهرٍ نقيٍّ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قال: (إِنَّ اللهَ -تعالى- طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا)[٤]؛ فربِّي -سبحانه وتعالى- طيِّبٌ لَا يقبلُ إلَّا الطَّيِّبَ، لَا يقبلُ الخبيثَ، ولا يقبلُ الحرام.

---

[١] رواه الطبراني وهذا لفظه والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد وغيرهم. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى.

[٢] رواه البخاري.

[٣] رواه البخاري.

[٤] رواه مسلم.

والأمرُ الآخرُ في هذهِ الصَّدقةِ أن تكونَ بعيدةً عن كلِّ خبثٍ، وعن كلِّ مَا تبغضُه النَّفس، وأن تكونَ ممَّا تحبُّه أنت، ويُحبُّه عيالُكَ، كما قال اللهُ -عز وجل-: {لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [سورة آل عمران: ٩٢].

كانَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ بنِ الخطَّابِ -رضي الله عنهما- يتخيَّرُ أحبَّ ماله إليه، ثمَّ ينفقُهُ في سبيلِ اللهِ -عز وجل-؛ عملًا بهذه الآية، كما قالَ اللهُ -عز وجل- في موضعٍ آخر: {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ} [سورة البقرة: ١٧٧].

والأمرُ الآخرُ في هذهِ الصَّدقةِ أن تكونَ بعيدةً -كما قلنا- عنِ الخبث، بعيدةً عنِ الحرام، بعيدةً عمَّا تكرهُهُ النُّفوس، كما قال اللهُ -عز وجل-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧)} [سورة البقرة].

اعلمْ -يا عبد الله- أنَّ اللهَ -عز وجل- غنيٌّ عنك وعن صدقتِكَ، غنيٌّ عنكَ وعن مالِكَ، ولكنَّه فتحَ لكَ هذا البابَ، بابَ رحمةٍ بابَ خيرٍ، بابَ أجرٍ وثواب؛ لتبلغَ به مرضاةَ الله، وإلَّا فاللهُ -عز وجل- غنيٌّ عنِ العالمين، كما قال: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}.

ربِّي غنيٌّ عنِّي وعنك وعنْ كلِّ الإنسِ والجنِّ وعنْ كلِّ الكائناتِ -سبحانه وتعالى-، ولكنَّه فتحَ لنا هذا البابَ، بابَ الخيرِ بابَ الرَّحمةِ بابَ الصَّدقةِ في سبيلِ اللهِ -عز وجل-، فيا أخي في الله، عندما تتصدَّقُ على الفقراءِ والمساكينِ وعلى الأراملِ والأيتام؛ راعِ هذهِ الأمورَ.

والأمرُ الآخرُ الَّذي أحبُّ أنْ أُنبِّهَ عليه؛ هو قولُ اللهِ -عز وجل-: {الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢)} [سورة البقرة].

فها هنا ترتُّبَ الأجرُ على أمرٍ آخر، وهو ألَّا تُتبِعَ هذه الصَّدقةَ بالمنِّ على مَن تصدَّقتَ عليه، ولَا بالأذى بالكلامِ أو بالفعلِ على مَن تصدَّقتَ عليه، فإنْ مننتَ عليه أو آذيتَهُ بصدقتك؛ لم يقبلْهَا اللهُ -عز وجل-؛ فاللهُ -عز وجل- شرَّعَ هذه الصَّدقةَ لحِكَمٍ عظيمةٍ جدًّا، علمها مَن علمها وجهلها مَن جهلها، ومِن تلكُمُ الحِكَمِ:

أن يُقوِّي الرَّابطةَ بينَ المسلمينَ، وأنْ يجمعَ قلوبَ المسلمينَ، وأنْ يجعلَ غنيَّهُمْ يَعطِفُ على فقيرهم، وأنْ يجعلَ مَن لديه مالٌ يَعطِفُ على مَن ليسَ لديه مالٌ وهو بحاجةٍ إلى حوائجِ الدُّنيا ولا يَقدِرُ عليها كُلِّها.

فلذلكَ -أخي في الله- انتبهْ إلى هذهِ الآيةِ: {الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًىۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}، ثمَّ قال ربِّي: {قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًىۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣)} [سورة البقرة].

فيا إخوتي في الله، انتبهوا إلى هذا الأمرِ الخطيرِ، وهو المنُّ على مَن تعطونَهُمْ أموالَكُمْ، أو إيذاؤهُمْ بالكلامِ أو بالفعلِ بعد أنْ تُعينُوهُمْ.

والأمرُ الآخرُ الَّذي أحبُّ أنْ أنبِّهَ عليه؛ هو قولُ الله -عز وجل-: {وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ} [سورة النور: ٣٣].

اعلمْ يا عبدَ الله، واعلمي يا أمةَ الله؛ أنَّ المالَ الَّذي بينَ أيديكم ليس لكُمْ، إنَّما هو مالُ اللهِ -عز وجل- استخلفكُمْ عليه، واستَرْعَاكُمْ عليه فقط، فأعطِ الفقيرَ مِن مالِ اللهِ الَّذي أنتَ مؤتمنٌ عليه، وأعطي المسكينَ مِن مالِ اللهِ الَّذي استأمَنَكِ عليه، أنفِقُوا عليهِمْ مِن مالِ اللهِ -عز وجل-، وابتغوا بذلكَ مرضاةَ الله -عز وجل-.

يا أيُّها الإخوة، إنَّ إخوانَنا الفقراءَ، وإنَّ إخوانَنا المساكين، وإنَّ أخواتِنا الأراملَ، وإنَّ أبناءنا الأيتامَ؛ يشتكونَ كلَّ يومٍ، ويبكونَ كلَّ يومٍ، ويحتاجونَ مَا يحتاجونَ كلَّ يوم، وأنا وأنتمْ نأكلُ ونَشرَبُ ونَسرَحُ ونَمرَحُ ونَلعَبُ، ونَذهَبُ ونَرجِعُ، ولَا ندري بحاجتِهِمْ! وهُمْ يشتكونَ

إلى اللهِ -عز وجل-، وهُمْ يبكونَ بين يدي اللهِ -عز وجل-، فأينَ الرَّحمةُ عبادَ الله؟! أينَ التَّراحُمُ عبادَ الله؟!

إنَّ النبيَّ -عليه الصلاة والسلام- قال: (مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ)[١]، وقال: (لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ)[٢]، وقال: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ)[٣].

فيا إخواني، ارحَمُوا إخوانَكُمُ الفقراءَ، ارحَمُوا إخوانَكُمُ المساكين، ارحَمُوا أخواتِكُمُ الأراملَ، ارحَمُوا أبناءكُمُ الأيتامَ، وواسُوهُمْ وأعطُوهُمْ، {وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ}.

ثمَّ الأمرُ الآخرُ الَّذي أنبِّه عليه؛ هو أمرٌ عمَّ وانتشرَ وظهرَ بينَ كثيرٍ مِنَ المسلمينَ، وهذا الأمرُ خطيرٌ جدًّا، ويهدِّدُ كلَّ صاحبِ مالٍ بذهابِ مَالِهِ كلِّه، وهو إيذاءُ السَّائلينَ.

عندما تمشي في طريق، ويأتيكَ سائلٌ ويقولُ لك: "أعطني"، فانتشرَ بينَ أغلبِ النَّاسِ أنَّ الرَّدَّ يكون: اذهب -اللهُ يعطيك-.

وهذهِ كلمةُ حقٍّ، ولكنَّها لَا تُرضِي اللهَ -عز وجل-؛ فاللهُ -عز وجل- لمَّا ساقَ إليكَ هذا الفقيرَ؛ هو يعلمُ أنَّكَ مؤتمنٌ على مالٍ هو -سبحانه وتعالى- أعطاكَ إيَّاه، ولمَّا ساقَ إليكَ الفقيرَ إنَّما يختبرُك: هلْ ستَشُحُّ بمالِ اللهِ -عز وجل- على عيالِ الله، أم ستُؤتِي مالَ اللهِ -عز وجل- لعيالِ الله؟

ولذلكَ جاءَ التَّصريحُ بالنَّهيِ عنْ نهرِ السَّائلينَ في قولِه -سبحانه وتعالى-: {وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)} [سورة الضحى].

فيا إخواني ويا أخواتي، لا تنهَروا السَّائلينَ، إنْ كنتُمْ تملكونَ مَا تُعينونَهُمْ به على حاجتِهِمْ؛ فأعطوهُمْ ولو القليلَ، وإنْ كنتُمْ لَا تملكونَ مَا تواسونَهُمْ به؛ فلا تَشُحُّوا عليهِمْ

---

[١] رواه البخاري.

[٢] رواه البخاري.

[٣] رواه أحمد والترمذي والحاكم. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم بعد أن ذكره مع أحاديث عدة في الباب: وهذه الأحاديث كلها صحيحة، ووافقه الذهبي.

بـدعوةٍ مِن القلب، قولـوا لهم: "نسـألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العـرشِ العظيمِ؛ أن يُوسِّـعَ علينـا وعليكُمْ، وأن يُؤتِيَنَا ويؤتيَكُمْ مِن فضله العظيم؛ إنَّه وليُّ ذلكَ والقادرُ عليه"، وهكذا.

وأمَّا النَّهرُ والطَّردُ وقولُ هذهِ الكلمةِ، وهي كلمةُ حقٍّ ولكنْ في غيرِ موضعها، وهي تؤذي هذا السَّائلَ المسكين.

أخي في الله، قبلَ أن تتفوَّهَ بهذا الكلامِ، تأمَّل: مَن الَّذي جعلَ هذا الفقيرَ فقيرًا؟ ومَن الَّذي جعلكَ غنيًّا؟ إنَّهُ اللهُ، أليسَ اللهُ بقادرٍ على أن يردَّك فقيرًا، وأن يجعلَهُ غنيًّا؟! ثمَّ تأتي وتَسأَلُ ويقولُ لك: اذهب -الله يعطيك-!

ألا تعلمُ أنَّ الجــزاءَ مِن جنسِ العمــل؟! ألا تعلمُ أنَّ الحيَّ القيُّــومَ ينتقمُ لعيالــه؟! إنَّ الفقراءَ والمساكينَ عيالُ اللهِ -عز وجل-، وأحبُّ عبادِ اللهِ إلى الله؛ أنفعُهُمْ لعيالِهِ -سبحانه وتعالى-.

فيا إخواني ويا أخواتي، انتبِهُوا واحذَرُوا مِن هذا الأمرِ العظيم، بعضُ النَّاسِ يقولُ: "ولكن أغلبهم يكذبونَ"! فأردُّ عليه وأقولُ: واللهِ لقد أخطأتَ، بل أغلبُهُمْ صادقونَ، وبعضُهُمْ يكذبونَ، ولكنْ هل تعلمُ مَنِ الصَّادقُ ومَنِ الكاذبُ؟! لا تعلمُ.

والأمرُ الآخرُ: أنتَ تريدُ بصدقتِكَ إرضاءَ الفقيرِ، أم إرضاءَ ربِّ الفقير؟! فأعطِ صدقتَكَ ابتغاءَ مرضاةِ اللهِ -عز وجل- ولو كانتْ قليلةً، ولا تنهرْ أحدًا، ولا تردَّ أحدًا.

واحذرْ -عبدَ الله- مِن أن يؤاخذَكَ اللهُ -عز وجل- بدمعةٍ مِن عينِ فقيرٍ تَكسِرُ قلبَه، فيكسِرُ اللهُ -عز وجل- ظهرَك، ويُذهِبُ اللهُ -عز وجل- كلَّ مالك!

يا عبدَ الله، اعلمْ أنَّ الله يَنظُرُ إليكَ وأنتَ تجرحُ هذا الفقيرَ، اعلمْ أنَّ اللهَ -عز وجل- يُبصِرُكَ ويَراك، ويسمعُ مَا قلتَهُ لهذا الفقير، وهو -سبحانه وتعالى- هو الَّذي أنعمَ عليك، وهو الَّذي أحياكَ وهو الَّذي آتاك.

فاحسبْ هذا الحسابَ، وراقبْ ربَّ الأرضِ والسَّماءِ قبلَ أن تتفوَّهَ بأيِّ كلمةٍ تلقيهَا لهذا الفقيرِ أو لهذا اليتيمِ أو لهذا المسكينِ أو لتلكَ الأرملةِ أو لذلكَ المحتاج.

والأمرُ الآخرُ: أيُّها الإخوة، أبشِّرُ كلَّ رجل يتصدَّقُ في سبيلِ اللهِ -عز وجل- وكلَّ امرأةٍ تتصدَّقُ في سبيلِ اللهِ -عز وجل- ويريدونَ بصدقاتِهِمْ مرضاةَ اللهِ -سبحانه وتعالى-؛ أبشِّرُ هؤلاءِ جميعًا بقوله سبحانه: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠)} [سورة الرحمن]، إنَّ الجزاءَ مِن جنسِ العمل.

عندما تَطرُقُونَ بابَ فقيرٍ أو يتيمٍ أو مسكينٍ أو أرملةٍ أو محتاجٍ أو مريضٍ، ويخرجُ لكُمْ هذا الفقيرُ وقد علا على وجهه علاماتُ الحُزن، وعلاماتُ الغمِّ وعلاماتُ الهمِّ، يَخرُجُ مكروبَ الوجهِ مُصفَرَّ الوجهِ، مُحدودبَ الظَّهر، حزينٌ لما أصابه مِن حاجةٍ وفقرٍ شديد.

فإذا أخرجتُمْ له الصَّدقةَ وأخرجتُمْ له المعونةَ مِن مالٍ أو طعامٍ أو كساءٍ أو غيرِه؛ ستُلاحِظُونَ كيفَ سيستنيرُ وجهُهُ ويُسفِر، وترتسمُ البسمةُ على وجهه.

هذهِ العلامةُ يُظهِرُهَا اللهُ -عز وجل- لكُمْ في الدُّنيا؛ ليُبشِّرَكم بأنَّكُم مِن أهلِ قولِ الله -عز وجل-: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩)} [سورة عبس]، فكما أنَّكُمْ كنتُمْ سببًا في إسفارِ وجوهِ الفقراءِ والمساكينِ والأراملِ والأيتامِ، وفي رسمِ البسمةِ عليهم، وفي ضحكهم بهذا الفرحِ وهذا السُّرورِ الَّذي أدخلتموه عليهم؛ فاعلموا أنَّ اللهَ -عز وجل- سيُجَازِيكُمْ مِن جنسِ هذا العمل، فَتُسفِرُ وجوهُكُمْ يومَ القيامة، وتكونونَ مِن أهلِ قولِه: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ}.

إنَّ اللهَ -عز وجل- أرحمُ الرَّاحمين، وهو أكرمُ الأكرمين، وهو خيرُ الرَّازقين؛ لذلكَ يا إخوتي في الله، ويا أخواتي في الله؛ راقبوا اللهَ -عز وجل- في كلِّ قليلٍ وصغيرٍ، راقبوا اللهَ -عز وجل- في كلِّ عمل: في الصَّدقةِ أو غيرِهَا، استشعروا عظمةَ اللهِ -عز وجل-، وأنَّه -سبحانه وتعالى- فوقَ عرشه فوقَ سمائه السَّابعة، وقد أحاطَ علمُهُ بكلِّ شيء، وأحاطَ بصرُهُ بكلِّ شيء، وأحاط سمعُهُ بكلِّ شيء.

فاحرصْ أخي، واحرصِي أختي على ألَّا تقوموا بِعملٍ إلَّا وهو يُرضِي اللهَ -سبحانه وتعالى- وأنْ تبتعِدُوا عنْ كلِّ عملٍ يُسخِطُ اللهَ -عز وجل-.

أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ؛ أن يبارِكَ لكلِّ مسلمٍ غنيٍّ في ماله، وأن يُؤتِيَ كلَّ فقيرٍ مسلمٍ مِن ماله؛ إنَّه وليُّ ذلكَ والقادرُ عليه، وجزاكُمُ اللهُ خيرًا، وبارَكَ فيكُمْ.

الحلقة الثانية عشرة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، إله الأوَّلين والآخرين، وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على عبده ورسوله النبيِّ الأمين، وعلى آله وأصحابه الطَّيبينَ الطَّاهرين، ومَن اتَّبعهُمْ بإحسانٍ إلى يوم الدِّين؛ أمَّا بعد:

إخواني في الله، السَّلامُ عليكُمْ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ، أحبَّتي في الله، هذهِ نصيحةٌ مِن أخيكم في الله، منطلقًا مِن قوله -عليه الصلاة والسلام-: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)[١].

إخواني، إنَّكم ترونَ في واقعِكُمُ اليوميِّ كثرةَ غفلةِ النَّاسِ عنْ طاعةِ اللهِ -سبحانه وتعالى-، وكثرةَ وُلُوجِهِمْ لأبوابِ الشَّر ولأبوابِ المعاصي ولأبوابِ الفجور ولأبوابِ الذُّنوب، وكثرةَ جريِهِمْ وركضِهِمْ خلفَ الدُّنيا وزينتِهَا ومتاعِهَا وزخرفِهَا وبهرجِهَا الزَّائل، وقلَّةَ تمسُّكِهِم بطاعةِ الله -سبحانه وتعالى-، وقلَّةَ ولوجِهِمْ لأبوابِ المساجد، وقلةَ تمسُّكِهِم بالقرآنِ الكريم، وقلَّةَ قُرُبَاتِهِمْ إلى الله -سبحانه وتعالى-، وهذا خطرٌ عظيم، وهذا مِن أعظمِ مصائدِ إبليسَ -لعنه الله- التي يَنْصِبُهَا للموحِّدينَ في طريقهِمْ إلى اللهِ -سبحانه وتعالى-.

كما أخبر اللهُ -عز وجل- عنه في القرآن، حكى اللهُ عنْ إبليسَ قولَهُ: {لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦)} [سورة الأعراف]، أي: لأنصبنَّ لهُمُ الفخاخ، ولأنصبنَّ لهُمُ المصائد، ولأنصبنَّ لهُمُ الكمائن؛ حتَّى أوقعَهم، ولا يُكمِلُوا الطَّريقَ إلى اللهِ -سبحانه وتعالى-.

فأحببتُ أن أذكِّرَ نفسي وإيَّاكم ببعضِ الكلمات، لعلَّها تكونُ سببًا في رجوعِنا إلى اللهِ -سبحانه وتعالى-، وانقطاعِنا عن هذهِ الدُّنيا، وإقبالِنا على الآخرةِ الَّتي قالَ عنها ربُّ العالمين: {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (١٩)} [سورة الإسراء].

---

[١] متفق عليه.

هذهِ النَّصيحةُ هي بالتَّذكيرِ بالرُّجوعِ إلى اللهِ -سبحانه وتعالى-.

كما قال اللهُ -عز وجل-: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨)} [سورة البقرة]، وكما قالَ اللهُ تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)} [سورة البقرة]، وكما قال اللهُ -عز وجل-: {إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠)} [سورة مريم]، وكما قالَ اللهُ -عز وجل-: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)} [سورة الحج].

أخي في الله، أختي في الله؛ إنَّكم ميّتونَ، ميّتونَ ميّتونَ ولَا محالة، ولكنَّ الأمرَ لا يقفُ عند الموت! يقولُ اللهُ -عز وجل-: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} [سورة آل عمران: ١٨٥]، ويقولُ اللهُ -عز وجل-: {قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ} [سورة الجمعة: ٨].

بعدَ الموتِ برزخٌ؛ يقولُ اللهُ -عز وجل-: {وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)} [سورة المؤمنون]، وبعدَ البرزخِ بعثٌ ونشورٌ ووقوفٌ بينَ يدي الله -سبحانه وتعالى- وخوفٌ شديد، كما قال -عز وجل-: {إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)} [سورة الحج]

ستقفُ -أخي في الله- بينَ يدي اللهِ -سبحانه وتعالى- في يومٍ عظيمٍ ومشهدٍ مخيفٍ، فَزَعٍ أكبر، في يومٍ لَا ترتدُّ فيه الأبصارُ، في يومٍ القلوبُ فيهِ فارغةٌ من شدَّةِ خوفِها مِنَ اللهِ -سبحانه وتعالى-، ستُبعَثُ -أخي في الله- حافيًا لا نعلَ لك، وعاريًا لا ثوبَ لك، ووحيدًا لا نصيرَ لك.

أخي في الله، لا يقفُ الأمرُ عندَ هذا، ثمَّ يُخرَجُ لك كتابٌ، كما قالَ اللهُ -عز وجل- في سورةِ الإسراء: {وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)} [سورة الإسراء].

هذا الكتابُ هو الَّذي كتبتْهُ الملائكةُ الكرامُ، كتبوا فيه أعمالَكَ، وكتبوا فيه أقوالَكَ، وكتبوا فيه اعتقاداتِكَ، كتبوا فيه مَا أكلتَ مِن حلالٍ أو حرام، ومَا شربتَ مِن حلالٍ أو حرام، ومَا شبعتَ مِن حلالٍ أو حرام، ومَا نظرتَ إليه مِن حلالٍ أو حرام، ومَا باشرتَهُ بيدِكَ مِن حلالٍ أو حرام، ومَا مشيتَ إليه برجْلِكَ مِن حلالٍ أو حرام، ومَا اكتسبتَهُ مِن حلالٍ أو حرام، كتبوا فيهِ الغيبةَ والنَّميمةَ والظُّلمَ والكِبْرَ والتَّقصيرَ في جنبِ الله.

كتبوا فيه كلَّ الأعمالِ الصَّالحة، وكلَّ الأعمالِ الفاسدة، تقرأ ذلكَ على اللهِ -عز وجل- في يومٍ شديد، في يومٍ اللهُ -عز وجل- فيهِ غاضبٌ الغضبَ الشَّديد، غضبٌ لم يغضبْ قبلَهُ مثلَهُ قط، ولن يغضبَ بعدَهُ مثلَهُ قط!

تقرأ على اللهِ -سبحانه وتعالى- وكلُّ الإنسِ ينظرونَ إليك! وكلُّ الجنّ ينظرونَ إليك! وكلُّ الملكِ ينظرونَ إليك! في ذلكَ اليومِ تُسعَّرُ نارُ جهنَّمَ، وتبدأ تُطلِقُ شَرَرَهَا، ويعلو زفيرُهَا وشهيقُها وأنتَ تسمع، كلُّ هذا وأنت حافٍ وعارٍ ووحيدٌ وخائف! وتقرأ على الله -عز وجل-.

ثمَّ بعد أنْ تقرأ؛ يُنصَبُ الميزان، فتُوزَنُ أعمالُكَ الصَّالحة، وتُوزَنُ أعمالُكَ الفاسدة؛ يقولُ اللهُ -عز وجل-: {فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)} [سورة القارعة].

عندما يُنصَبُ الميزانُ وتُوزَنُ الأعمالُ؛ إمَّا أنْ تُؤتَى كتابَكَ بيمينك: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩)} [سورة الحاقة].

وإمَّا أنْ تُؤتَاهُ بالشِّمال: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦)} [سورة الحاقة].

ثمَّ بعدَ هذا يُنصَبُ الصِّراطُ، يُنصَب الصِّراطُ فوقَ نارِ جهنَّمَ باتِّجاهِ الجنَّة، الصِّراطُ أدقُّ مِن الشَّعرة وأحدُّ منَ السَّيف، والكلُّ يَعبُرونَ عليه، فبينَ ناجٍ يُنجيهِ اللهُ -عز وجل- بتوحيدِهِ وأعمالِهِ الصَّالحة، وبينَ هابطٍ وهالكٍ في النَّار يَهلَكُ بشركِهِ وكفرِهِ بالله، وبينَ

موحّدٍ عاصٍ يَسقُطُ في النَّار حتَّى يُطهَّرَ مِن معصيته، ثمَّ يُخرَجُ منها بفضل الله -عز وجل- عليه.

أخي في الله، اسمعْ لقولِ اللهِ -عز وجل- عنِ الصِّراط؛ يقولُ اللهُ -سبحانه وتعالى-: {وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (٦٧) فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨) ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا (٦٩) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (٧٠) وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا} [سورة مريم].

وبعدَ الصُّعودِ على الصِّراطِ؛ إمَّا أنْ تُواصِلَ المسيرَ فتنجُوَ وتصلَ إلى جنَّةِ اللهِ -سبحانه وتعالى- الَّتي قالَ اللهُ عنها: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥)} [سورة ق].

وإمَّا أنْ تَسقُطَ مِن الصِّراطِ في النَّار الَّتي قال اللهُ عنها: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ (٧)} [سورة الغاشية].

الماءُ فيها كالمُهْلِ: {وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)} [سورة الكهف].

أخي في الله، أختي في الله؛ مَن يَضْمَنُ لنا النَّجاة؟! مَن يَضمَنُ لنا عدمَ الهلاك؟! إذًا لِمَ هذهِ الطُّمأنينة؟! ولم هذهِ الرَّاحة؟! ولم هذا الضَّحك؟! ولم هذا التَّمتُّعُ في الدُّنيا وعدمُ الإقبالِ على الآخرة؟! لماذا التَّقصيرُ معَ القرآن؟! لماذا التَّقصيرُ في الطَّاعات؟! هل ضَمِنْتَ العبورَ على الصِّراط؟!

عبدُ اللهِ بنُ رواحةَ -رضي الله عنه وأرضاه- لمَّا قرأ قولَ اللهِ -عز وجل-: {إِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١)} [سورة مريم]؛ بكى، فقيل له: ما يُبْكِيكَ؟ قال: "أَنَّى لنا بالصُّدورِ بعدَ الورود؟!"، أي: مَن يضمنُ لنا أن نَعبُرَ على الصِّراطِ ولا نَسقُطَ في النَّارِ فنَهلَكَ؟!

أخي في الله، يقولُ اللهُ -عز وجل- واعظًا لكلِّ مسلمٍ، وواعظًا لكلِّ مسلمة: {فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٤) يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦) لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا (٨٧) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨) لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣) لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥)} [سورة مريم].

أخي في الله، لا يغرَّنَّكَ تقلُّبُ الَّذينَ كفروا في البلاد، لا تَنظُرْ إلى مَا آتاهُمُ اللهُ -عز وجل- مِن الدُّنيا؛ فاللهُ -عز وجل- يُعطِي الدُّنيا لمن يحبُّ ولمن لَا يحبُّ، ولكنَّه لَا يُعطِي دينَهُ إلَّا لمن يحبُّ؛ جاء في الصَّحيح أنَّ النبيَّ -عليه الصلاة والسلام- قال: (الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ)[١].

مرَّ الإمامُ ابنُ حجرٍ العسقلانيُّ -رحمه الله- راكبًا على بغلةٍ وهو يرتدي ثوبًا جميلًا، ووضعَ طيبًا ذا رائحةٍ زكيَّة، مرَّ على يهوديٍّ يعملُ في بيعِ الزَّيت، وقدِ ارتدى ملابسَ رديئةً ورائحتُهُ كريهة، فأوقفه اليهوديُّ وقال: "يا ابنَ حجر، ألا تزعمونَ أنَّ الجنَّةَ سجنٌ للمؤمن، وجنَّةٌ للكافر؟! لِمَ أنتَ بهذهِ السَّعادة وأنا بهذا الشَّقاء؟!"

فقال له ابنُ حجرٍ -عليه رحمة الله-: "أنا بالنِّسبةِ لما أعدَّهُ اللهُ لي مِن النَّعيمِ في الجنَّة؛ أنا الآنَ في سجن، وأنتَ بالنِّسبةِ لما أعدَّهُ اللهُ لكَ مِن العذابِ الأليمِ في النَّار؛ أنتَ الآنَ في جنَّة".

---

[١] رواه مسلم.

إخواني، هذهِ هي الحقيقة؛ ولذلكَ نهى اللهُ -عز وجل- نبيَّه ﷺ، ونهى الأمَّةَ -تبعًا لذلك- عنْ كثرةِ النَّظرِ في الدُّنيا؛ حتَّى لا تعلقَ القلوبُ بها؛ فقال اللهُ -عز وجل-: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} [سورة طه: ١٣١].

إخواني، لا تَفْتِنَنَّكُمْ الدُّنيا عنِ الدِّين؛ فأنتُمْ مَا خُلِقتُمْ إلَّا مِن أجلِ الدِّين، {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)} [سورة الذريات].

أخي في الله، أختي في الله؛ اسألوا أنفسَكُمْ سؤالًا واحدًا: لو ملكنَا الدُّنيا بكلِّ حذافيرِهَا، لو ملكنا المليارات، وملكنا القصورَ والسَّيَّاراتِ، وملكنا كلَّ شيءٍ، وجاءَ ملكُ الموتِ -عليه السلام- لقبض الأرواح؛ فبم سنخرُجُ؟

والله، لن نأخذَ معنا دينارًا ولا دولارًا، لن نأخذَ معنا مثقالَ ذرَّةٍ من ذهب ولا أقلَّ مِن ذلك، لن تَخرُجَ إلَّا الرُّوحُ، ولن ينفعَنا شيءٌ إلَّا طاعةُ اللهِ -سبحانه وتعالى-.

فاخلعوا عنكم الدُّنيا، مَن ملكَ منكُمُ الأموالَ؛ فلينفقْها في سبيل الله -عز وجل-، وليُبْقِ له مَا يكفيه فقط، مَن ملكَ الأموالَ؛ فليتقرَّبْ بها إلى اللهِ -سبحانه وتعالى-، ومَن غرَّه الشَّيطانُ وخدعه إبليسُ، وأصبحَ ممَّن يجرون خلفَ الدُّنيا، ويملؤون جوالاتِهِمْ بالأغاني، وأصبحَ لَا يعرفُ الطَّريقَ إلى المسجد؛ فلْيُعْلِنِ اليومَ توبة، وَلْيُعْلِنِ اليومَ رجوعًا إلى اللهِ -سبحانه وتعالى- قبلَ فواتِ الأوان.

إنَّكَ إذا جاءكَ الموت، وجاءكَ ملكُ الموتِ -عليه السلام-؛ لن يستأذنَ منك، ولن يقولَ لك: "أتسمحُ أنْ أقبضَ روحَكَ أم لَا؟"، سيقبضُهَا شئتَ أمْ أبيت؛ يقولُ اللهُ -عز وجل-: {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩)} [سورة مريم].

فيا إخواني في الله، توبوا إلى اللهِ قبلَ فواتِ الأوان، ارجعوا إلى دينِ اللهِ -سبحانه وتعالى-، ارجعوا إلى بيوتِ الله، وارجعوا إلى القرآن، وارجعوا إلى الدُّعاء وكثرةِ الذِّكر، وارجعوا إلى الجهادِ في سبيلِ الله، وانصرُوا أمَّةَ محمَّدٍ ﷺ بالغالي والنَّفيس.

أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ؛ أن يتولَّاني وإيَّاكُمْ برحمتِهِ الواسعةِ في الدُّنيا والآخرةِ، اللَّهمَّ آمين.

الحلقة الثالثة عشرة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، إله الأوَّلين والآخرين، وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على عبده ورسوله النَّبيِّ الأمين، وعلى آله وأصحابِهِ الطَّيِّبينَ الطَّاهرين، ومَن اتَّبعهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين؛ أمَّا بعد:

فإنَّ نبيَّنا ﷺ وصَّى ابنَ عمرَ -رضي الله عنهما- بوصيَّةٍ عظيمة، وهي وصيَّةٌ لكلِّ الأمَّة إلى يومِ القيامة، يقولُ ابنُ عمرَ -رضي الله عنهما-: أخذَ النبيُّ ﷺ ذاتَ يومٍ بمنكبي، وقال: (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ)، هكذا رواهُ البخاريُّ في صحيحه.

فما أعظمَهَا مِن وصيَّةٍ -والله- للمؤمنِ الَّذي يعرفُ الله! ما أعظمَهَا مِن وصيَّةٍ للمسلمينَ الَّذين يعرفونَ عظمةَ هذا الدِّين! (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ).

إنَّ الغريبَ إذا نزلَ في بلدٍ لا ينافسُ أهلَهُ، ولَا يغالبُ أهلَه، ولَا ينازعُ أهلَه؛ لأنَّ قلبَهُ مشغولٌ، وروحُهُ مشغولةٌ بالرُّجوعِ إلى الوطن، إنَّ الغريبَ إذا سكنَ في أجملِ مكانٍ وأحلى مكانٍ؛ فإنَّ قلبَهُ لا يتعلَّق به، بلْ هو متعلِّقٌ بالرُّجوعِ إلى الوطن.

كَمْ منزِلٍ في الأرضِ يَأْلَفُهُ الفَتَى *** وحنينُهُ أبدًا لأوَّلِ منزل

إنَّ عابرَ السَّبيلِ إذا كانَ يسيرُ في طريقِهِ في سفرِهِ، ونزل في مدينة؛ إنَّما ينزلُ ليرتاح ويتزوَّد ليواصلَ الطَّريق، إذا نزلَ في مسجدٍ؛ إنَّما ينزلُ ليرتاحَ ويتوضَّأ وينامَ قليلًا، ويتزوَّدَ ببعضِ المياهِ ليواصلَ الطَّريق.

فكذلكَ حالُ المسلمِ في هذه الدُّنيا، كذلكَ حالُ المسلمةِ في هذه الدُّنيا، غُرباءُ، قلوبُهُمْ مشغولةٌ بالرُّجوعِ إلى الوطن، أيُّ وطن؟ إنَّ وطنَ المؤمنينَ والمؤمناتِ الأوَّلَ هو الجنَّة.

نزلَ أبونا آدمُ -عليه السلام- وأمُّنا حواءُ -عليها السلام- مِن الجنَّة بمعصيةٍ عَصَيَا بها اللهَ -عز وجل- لمَّا أكلَا مِن الشَّجرة، فتابَ اللهُ عليهما، ووعدهُمَا بالرُّجوعِ إلى الجنَّة ومَن

صلحَ مِن ذريَّتِهِمَا؛ فالجنَّةُ هي موطنُنَا الأوَّل، وأرواحُنَا تشتاقُ إلى ذلكَ الوطن، وتَحِنُّ إلى ذلكَ الوطن، القلوبُ يُفترَضُ أن تكونَ معلَّقةً بالوطنِ الأوَّل.

المؤمنُ والمؤمنةُ في هذه الدُّنيا كعابرِ السَّبيل، لا ينبغي أن يُنافِسُوا أهلَها، لا ينبغي أن يُنازِعُوا أهلَها، لا ينبغي أن يُسابِقُوهُمْ في تحصيلها وتحصيلِ زخارفِهَا وزينتِهَا، يمرُّونَ بها مرورًا سريعًا، يتزوَّدونَ منها بزادٍ ليواصلوا به الطَّريق؛ ولذلكَ قالَ اللهُ -عز وجل-: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧)} [سورة البقرة].

فعابرُ السَّبيلِ المؤمنُ في هذهِ الدُّنيا سيعبُرُ منها إلى لقاءِ اللهِ -عز وجل- يتزوَّدُ من الدُّنيا بزادِ التَّقوى ليواصلَ مسيرَهُ إلى اللهِ -عز وجل-.

فيا أيُّها المسلمُ والمسلمةُ، كونوا إمَّا غُرباءَ في هذه الدُّنيا، وإمَّا عابري سبيلٍ من هذهِ الدُّنيا، ولا تتعلَّقوا بها، ولا تميلنَّ قلوبُكُمْ إليها فتَهْلِكَكُمْ، لا تتعلَّقنَّ أرواحُكُمْ بها فتَهْلِكَكُمْ.

إنَّ هذهِ الدُّنيا ممرٌّ وليستْ بمستقرٍّ، إنَّ هذهِ الدُّنيا فانيةٌ وليستْ بباقيةٍ، إنَّكم ستخرُجونَ منها شئتُمْ أم أبيتُمْ، فاقطعوا النَّفْسَ منها، وأقبلوا على تلكَ الباقية، وأقبلوا على الآخرة.

دخلَ بعضُ النَّاسِ إلى بيتٍ مِن بيوتِ أحدِ السَّلفِ الصَّالحِ -عليهم رحمة الله-، فوجدوا البيتَ فارغًا مِن المتاع، فقالوا له: "يا فلانُ، كأنَّكَ مرتحلٌ؟ فقال لهم: مرتحلٌ؟! بل أُطرَدُ طردًا".

وهكذا حالُ المؤمنِ والمؤمنة، نحنُ لن نخرجَ مِن الدُّنيا باختيارنا، لن نخرجَ مِن هذهِ الدُّنيا بإرادتنا، ولا مفرَّ والله، لا مفرَّ مِن الخروجِ منَ الدُّنيا، {قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ} [سورة الجمعة: ٨]، فكونوا في الدُّنيا غرباءَ أو عَابِري سبيلٍ.

يقول النبيُّ ﷺ: (مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ)[١].

فانظرْ وانظري كيفَ بيَّنَ النبيُّ ﷺ حالَ المتعلِّقينَ بالدُّنيا، وكيفَ بيَّنَ حالَ المتعلِّقينَ بالآخرة.

إنَّ المتعلِّقَ في الدُّنيا تتفرَّقُ أمورُه، وتتشتَّتُ همومُهُ وأحزانُهُ وغمومُهُ، لا يُجمَعُ له أمر، ولا تُحَلُّ له مشكلة، فقرُهُ بينَ عينيه، لا يتلذَّذُ بمالٍ، ولا يستمتعُ بعيالٍ، ولا يتمتَّعُ بطعام، ولم يَنَلْهُ مِن الدُّنيا ولن ينالَهُ منهَا إلَّا مَا كتبه اللهُ له، لا زيادةً ولا نقصًا.

وأمَّا المتعلِّقُ بالآخرة؛ فأخبرَ النبيُّ ﷺ بأنَّ اللهَ سيجمعُ له أمرَه، ويُحِلُّ له مشاكلَه، ويزيلُ همَّه وغمَّه، ويُذهِبُ حزنَهُ وكربَهُ، ويجعلُ الغنى في قلبه.

والغنى كلُّ الغنى: غنى القلب؛ ولذلكَ ترى الفقيرَ المؤمنَ الواثقَ بالله سعيدًا، وترى المريضَ المؤمنَ الواثقَ بالله سعيدًا، وترى الأسيرَ المؤمنَ الواثقَ بالله سعيدًا، وترى المشلولَ المؤمنَ الواثقَ بالله سعيدًا، وترى اليتيمَ المؤمنَ الواثقَ بالله سعيدًا، وترى الأرملةَ المؤمنةَ الواثقةَ بالله سعيدةً.

لم؟ لأنَّ قلوبَهُمْ متعلِّقةٌ بالآخرة، متعلِّقةٌ بما أعدَّهُ اللهُ لهُمْ إنْ صبروا، متعلِّقةٌ بقولِ اللهِ -عز وجل-: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)} [سورة البقرة].

لقد أخبرَ اللهُ -عز وجل- أنَّ مِن عباده مَن يريدُ الدُّنيا، ومِن عباده مَن يريدُ الآخرةَ، فقال: {مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ} [سورة آل عمران: ١٥٢]، ولكنَّه لم يُثْنِ ولم يمدحْ إلَّا أهلَ الآخرة، إلَّا مَن أراد الآخرةَ، فقال سبحانه: {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (١٩)} [سورة الإسراء].

---

[١] رواه أحمد وابن ماجه واللفظ له. قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

قال النبيُّ ﷺ: (إنَّما مثلي ومثلُ الدُّنيا كمثلِ رجلٍ، قَالَ في ظلِّ شجرةٍ ثمَّ مضى)[١]، فجعلَ النبيُّ ﷺ الدُّنيا بمثابةِ القيلولةِ الَّتي ينامُهَا الإنسانُ في الظَّهيرة.

إنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ -رضي الله عنه وأرضاه- نصح كلَّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ، فقال: "إنَّ الدُّنيا مُدبِرَة، وإنَّ الآخرةَ مقبلة، وإنَّ لكلِّ واحدةٍ منهُمَا بنين، فكونوا أبناءَ الآخرة، ولا تكونوا أبناءَ الدُّنيا؛ فاليومَ عملٌ ولا حساب، وغدًا حسابٌ ولا عمل"، كان عليُّ بنُ أبي طالبٍ قصيرَ الأملِ في الدُّنيا.

وإنَّ معاذَ بنَ جبلٍ -رضي الله عنه وأرضاه- لمَّا نامَ في فراشِ الموت؛ قال لمن حوله: "أطَلَعَ الصَّباحُ؟ فقالوا: ليسَ بعدُ، فقال: أعوذُ بالله مِن ليلةٍ صباحُهَا إلى النَّار"، لَا حولَ ولَا قوَّةَ إلَّا بالله!

هكذا حالُ المؤمنين، هكذا حالُ الصَّادقينَ مع الله، هكذا حالُ مَن يرجونَ لقاءَ الله؛ ولذلكَ قالَ النبيُّ ﷺ: (الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ)[٢]، المؤمنُ في هذهِ الدُّنيا مسجونٌ، المؤمنُ في هذهِ الدُّنيا في ضيقٍ، المؤمنُ في هذهِ الدُّنيا في همٍّ وغمٍّ ونكد، لن يُفَكَّ أسرُه، ولن يذهبَ همُّه وغمُّه إلَّا بلقاءِ ربِّه ومولاه، والإقبالِ على أكرمِ الأكرمينَ وأرحمِ الرَّاحمين.

ولذلكَ قالَ النبيُّ ﷺ: (مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ)[٣]، إنَّ المؤمنَ يُحبُّ أن يلقى الله؛ لأنَّه يريدُ أن يَخرُجَ مِن هذهِ الدُّنيا، دنيا الهمومِ والغموم، دنيا الأحزانِ والضَّنك، دنيا النَّكد، يريدُ أن يُقبِلَ على الآخرة، يريدُ أن يُقبِل على اللهِ -عز وجل-، يريدُ أن يَدخُلَ دارَ السَّعادة.

إنَّ المؤمنَ قد ضاقَ صدرُهُ مِن رؤيةِ المنافقين، ومِن رؤيةِ المبتدعة، ومِن رؤيةِ أهلِ الذُّنوبِ والمعاصي، ضاقَ صدرُهُ مِن الكذَّابين، وضاقَ صدرُهُ مِن المغتابين، وضاقَ صدرُهُ مِن أهلِ الزِّنا والخَنَا، وأهلِ السَّرقةِ والخمورِ واللِّواط.

---

[١] رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلى. قال الأرنؤوط: صحيح، وهذا إسناد حسن، وكيع سمع من المسعودي – وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة – قبل اختلاطه، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين.

[٢] رواه مسلم.

[٣] رواه مسلم.

يريدُ أن يَدخُلَ جنَّةً ليسَ فيها إلا الطَّيِّبونَ، وليسَ فيها إلا الطَّيِّبات، لا يَسمَعُ فيها إلَّا الكلماتِ الطَّيِّباتِ المباركاتِ، لا يشمُّ فيها إلَّا الرَّائحةَ الطَّيِّبة، ولا يرى فيها إلَّا الوجوهَ الطَّيِّبة.

فيا أيُّها المؤمن، ويا أيَّتها المؤمنة؛ لا تتعلَّقوا بالدُّنيا، لا تجروا خلفَها، إيَّاكُمْ أنْ تُهْلِكَكُمْ كما أهلكتْ مَن قبلَكُمْ، وأقبلوا على الآخرة، أقبلوا على الباقية.

يا مَن أعطاكَ اللهُ الأموالَ، أنفقْهَا في سبيلِ اللهِ -عز وجل- قبلَ أن يأتيَكَ يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خلَّةٌ ولا شفاعةٌ، والكافرونَ هُمُ الظَّالمون.

يا مَن رزقكَ اللهُ القوَّةَ، اجتهدْ في طاعةِ اللهِ -عز وجل-، اجتهدْ في قيامِ اللَّيلِ والصِّيامِ قبلَ ألَّا يكونَ دينارٌ ولا درهم.

يا أيُّها الفقير، يا أيُّها اليتيم، يا أيُّها المحتاج، يا أيُّها المديون؛ إنَّ اللهَ -عز وجل- قدَّر لكُمْ هذا القَدَرَ لحكمةٍ ورحمة، فَثِقُوا باللهِ -عز وجل-، واعلموا أنَّ اللهَ ابتلاكُمْ بهذا الضِّيقِ؛ لأنَّهُ يحبُّكم، ويريدُكُمْ أن تلجأوا إليه، وأن تفرُّوا إليه، وأن ترفعوا الأياديَ إليه.

إنَّ اللهَ ابتلاكم؛ لأنَّهُ يريدُ أن يُطهِّرَكُمْ مِن الذُّنوبِ والمعاصي، ولأنَّه يريدُ أن يرفعَ درجتَكُمْ يومَ القيامة، فلا تحزنوا لقلَّةِ الأموال؛ فكَمْ مِن غنيٍّ جعلَهُ المالُ يَكفُرُ بالله، ويَغرَقُ في الذُّنوبِ والمعاصي! وكَمْ مِن غنيٍّ سيُحْرَقُ بمالِه يومَ القيامة! ألم تقرؤوا قولَ اللهِ -عز وجل-: {يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥)} [سورة التوبة]؟! فاحمدوا اللهَ -عز وجل- أنْ جعلكُمْ بعيدينَ عن هذهِ الفتنة.

نعمْ، إنَّ المالَ فتنة، وإنَّ الغنى فتنة؛ فكَمْ مِن مفتونٍ بهذهِ الدُّنيا شغلتْهُ أموالُهُ عنِ القيام، وشغلتْهُ حساباتُهُ عن الصِّيام، شغلتْهُ بيوتُهُ عنْ ذكرِ الله، وشغلتْهُ الإيجاراتُ عن قراءةِ القرآن، وشغلَهُ النَّاسُ وطلباتُهُمْ واحتياجاتُهُمْ والبيعُ والشِّراء عنْ حفظِ القرآن، وعنِ الدُّخولِ إلى بيوتِ الرَّحمن، وعنْ مناجاةِ اللهِ -عز وجل-.

وأمَّا أنتم؛ فقد سلَّمكُمُ اللهُ ونجَّاكُمْ مِن هذهِ الفتنة، فَأْنَسُوا بالله، والجؤوا إلى الله، ماذا وجدَ مَن فقدَ الله؟! وماذا فقدَ مَن وجدَ الله -عز وجل-؟!

يا أيُّها المسلمُ، يا أيَّتُها المسلمةُ؛ إنَّ هذهِ الدُّنيا خطيرة، واللهِ لقد أهلكتْ أقوامًا قبلَنا كثيرين، واللهِ لقد فتنتْ أقوامًا قبلَنا كثيرين، فاحذروا منها، وإيَّاكُمْ إيَّاكُمْ أن تتمسَّكوا بها، عُدُّوا أنفسَكُمْ مِن أصحابِ القبور، واعلمْ أنَّك لا تعلمُ متى ستموتُ، قد تموتُ بعدَ دقيقةٍ مِن سماعكَ لهذا الكلام، ماذا أعددتَّ للقاءِ الله -عز وجل-؟

أخي في الله، وأختي في الله؛ تزوَّدوا؛ فإنَّ خيرَ الزَّادِ التَّقوى، واعلموا أنَّ كلَّ حيٍّ سيموت، إلَّا ذا العزَّةِ والجبروتِ، هذا الَّذي أَختِمُ به الكلام.

أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيم؛ أنْ يتوبَ عليَّ وعليكُمْ وعلى كلِّ المسلمين، وأنْ يجعلَني وإيَّاكُمْ مِن الأتقياءِ الأنقياءِ الأصفياء، الَّذينَ لا يُفتَنونَ بالدُّنيا، والَّذينَ يريدونَ الآخرة، ويريدونَ مَا عندَ اللهِ -عز وجل-، اللَّهمَّ آمين.

الحلقة الرابعة عشرة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، إله الأوَّلينَ والآخرين، وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على عبده ورسوله النبيِّ الأمين، وعلى آله وأصحابه الطَّيِّبينَ الطَّاهرين، ومَن اتَّبعهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين؛ أمَّا بعد:

فإنَّهُ مِن المعلومِ لدى كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ أنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- أعدَّ دارًا للمؤمنين، هي جنَّةُ الله -سبحانه وتعالى-، وأعدَّ فيها درجات، كما قال النبيُّ ﷺ: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ)[١].

ومِن المعلومِ أيضًا لدى كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ أنَّ دخولَ الجنَّة لا يمكنُ إلَّا برحمةِ الله -سبحانه وتعالى-، وأمَّا الصُّعودُ في درجاتِها فبالأعمالِ الصَّالحةِ الخالصةِ لله -عز وجل-؛ لذا يَحسُنُ بنا هنا أن نتكلَّمَ عنِ الإخلاص؛ لأنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- لا يقبلُ من المسلمِ والمسلمةِ أيَّ عملٍ صالحٍ إلَّا بشرطين، ألا وهما: الإخلاصُ والاتِّباعُ لسنَّة النبيِّ ﷺ.

كما قالَ اللهُ -عز وجل-: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)} [سورة البينة].

وكما قالَ اللهُ -عز وجل-: {لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ} [سورة الحج: ٣٧].

وكما قالَ اللهُ -عز وجل-: {لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)} [سورة النساء].

---

[١] رواه البخاري.

فيتبيَّنُ لك -أيها المسلم- ويتبيَّنُ لكِ -أيتها المسلمة-: أنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- رتَّب الأجرَ العظيمَ على ابتغاءِ مرضاتِهِ -وحدَهُ لا شريكَ له- بالأعمال الصَّالحة؛ مِن صدقاتٍ أو صلاةٍ أو قراءةٍ للقرآن أو ذكرٍ لله -عز وجل- أو صلةٍ للأرحام أو حجٍّ أو جهادٍ أو غيرِهِ مِن الأعمالِ الصَّالحة.

فأخي في الله، وأختي في الله؛ اعلموا جميعًا أنَّ الخلاصَ في الإخلاص، فخلِّصوا أعمالَكُمْ، وخلِّصوا أقوالَكُمْ، وخلِّصوا كلَّ طاعاتِكُمْ مِن شوائبِ الشِّرك، كبيرِهِ وصغيرِهِ، خلِّصوها، واجعلوها صافيةً نقيَّة؛ ليقبلَهَا منكُمْ ربُّ البريَّةِ -سبحانه وتعالى-؛ يقولُ اللهُ -عز وجل-: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [سورة فاطر: ١٠].

إنَّ اللهَ -عز وجل- لا يَرفَعُ مِن الأعمالِ إلَّا مَا كانَ صالحًا، والعملُ الصَّالحُ: هو مَا كانَ على سنَّةِ النبيِّ ﷺ، ومَا كانَ خالصًا لله -عز وجل-، هذا العملُ الَّذي يُرفَع، ويُرفَعُ صاحبُهُ في درجاتِ الجنَّة يومَ القيامة، وأمَّا مَا دونَهُ مِن الأعمالِ الَّتي شَابَهَا الرِّياءُ أو شَابَهَا الشِّركُ الأكبرُ أو الأصغرُ؛ فلا تُرفَعُ ولَا يُرفعُ صاحِبُها.

فاحذروا يا إخواني، واحذَرْنَ يا أخواتي مِن الشِّركِ الأصغرِ شركِ الرِّياء؛ يقولُ النبيُّ -عليه الصلاة والسلام-: (أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ)، قالوا: ومَا الشِّركُ الأصغرُ يا رسولَ الله؟ قال: (الرِّيَاءُ)[١].

كمْ هُمُ الَّذينَ يعملون، وكمْ هُمُ الَّذينَ يتصدَّقون ويُنفِقُونَ ويجاهدون ويَذْكُرُونَ ويقرأونَ القرآن ويطلبونَ العلمَ الشَّريفَ؟! ولكنْ كمْ هُمُ المخلصون؟ إنَّهُمْ أقلُّ القلَّة.

نعمْ، إنَّ القِلَّةَ هي الَّتي تعمل، وقلَّةُ القلَّةِ هي الَّتي تُخلِصُ في عملِهَا لوجهِ الله -عز وجل-، كمْ مرَّةً عملتَ -أخي في الله- مِن الأعمالِ الصَّالحة؟ كمْ مرَّةً تصدَّقتَ؟ كمْ مرَّةً صلَّيتَ وقمتَ وذكرتَ اللهَ -عز وجل- ووصلتَ الأرحام؟

ولكنِ اسألْ نفسَكَ سؤالًا: هلْ كنتَ في تلكَ الأعمالِ مخلصًا لله -عز وجل-؟ إنْ كنتَ فيها مخلصًا؛ فاستبشرْ وافرحْ بقولِ اللهِ -عز وجل-: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ

[١] رواه أحمد والبيهقي. قال ابن حجر في بلوغ المرام: إسناده حسن.

فَلْيَفْرَحُوا} [سورة يونس:٥٨]، وإنْ كنتَ مُرائيًا فيها؛ فاندمْ وَابْكِ على نفسِكَ آسِفًا وغَالِبًا؛ لأنَّ الرِّياءَ إنْ خالطَ العمل؛ حبط العملُ وذهبَ أجرُهُ، ولن تنالَ يومَ القيامةِ منه حسنةً واحدةً.

إنَّ الأعمالَ لن تكونَ إلَّا بالنِّيَّة، وإنَّ الأجورَ مترتِّبةٌ على النَّوايا، يقولُ النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- كما في الحديثِ المتَّفقِ عليهِ مِن حديثِ عمرَ بنِ الخطَّابِ -رضي الله عنه وأرضاه-: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ).

إنَّ النِّيَّة: هي الإرادةُ الَّتي في قلبك، وهي القصدُ الَّذي في قلبك، إنَّها الابتغاءُ الَّذي تبتغي به العمل، ماذا تريدُ بعملك؟ هذهِ هي النِّيَّة.

يقولُ اللهُ -عز وجل- عن أصحابِ النيَّاتِ الخالصةِ لوجهه: {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (١٩)} [سورة الإسراء].

ميَّزَ اللهُ -عز وجل- بينَ أصحابِ النَّوايا الدَّنيَّة، وأصحابِ النَّوايا العليَّة، فقال: {مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ} [سورة آل عمران: ١٥٢].

إنْ كنتُمْ تريدونَ وجهَ اللهِ -عز وجل-؛ فأبشروا بالأجرِ العظيم، وإنْ كنتُمْ تريدونَ وجوهَ النَّاس؛ فليقلْ كلُّ واحدٍ منكُمْ لنفسِهِ في نفسِهِ: اذهبْ وخُذْ أجرَكَ ممَّن أردتَّ وجهَهُ بعملك! اذهبْ إلى الأصحاب، اذهب إلى الخلَّان، اذهب إلى النَّاس، اذهب إلى الَّذين كانوا ينظرونَ إليك، فخُذْ منهُمْ أجرَك! لأنَّ اللهَ لا يقبلُ إلَّا العملَ الخالصَ له وحده.

قالَ اللهُ -عز وجل- في الحديثِ القدسيِّ: {أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ}[1].

جاء رجلٌ إلى النبيِّ -عليه الصلاة والسلام- فقال: "يا رسولَ الله، أرأيتَ الرَّجلَ يُقاتِلُ للأجرِ والذِّكر؟"، يعني: أنَّه يسألُ النبيَّ ﷺ عن رجلٍ خرج يُقاتِل، ويريدُ الأجرَ من اللهِ -عز

[1] رواه مسلم.

وجل- ويريدُ الثَّناءَ والمدحَ من النَّاس، نيَّتَينِ اثنتَينِ، نيَّة لله ونيَّة للنَّاس، يعني: هلْ هذا له أجرٌ أمْ عليه وزرٌ؟ أمْ له أجرٌ وعليهِ وزر؟ فقال النبيُّ ﷺ: (ليس له شيءٌ)[١].

أي: ليسَ له حسنةٌ واحدةٌ، لِمَ؟ لأنَّهُ أشركَ في النيَّة، واللهُ لا يقبلُ المشاركةَ في النيَّة، ولو كانَ العملُ بنسبةِ تسعةٍ وتسعينَ بالمئةِ لله، وواحدٍ فقط بالمئةِ لغيرِ الله؛ فاللهُ لا يقبلُ هذا العمل، ويَرُدُّهُ في وجهِ صاحبِهِ يومَ القيامة؛ يقولُ اللهُ -عز وجل-: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤)} [سورة الغاشية]

تأمَّلْ في قوله: {عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ}، عَمِلَتْ وتَعِبَتْ وبذلتِ الجهدَ في أعمالها، ولكنْ مَا النَّتيجةُ يومَ القيامة؟ {تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً}، مَا السَّببُ؟ لأنَّها مَا كانتْ مُخلِصَةً لله -عز وجل-.

إنَّ النَّاظرَ في أحوالِ السَّلف -عليهم رحمة الله- يكتشفُ أمرًا مهمًّا: أنَّ السَّلفَ -عليهم رحمة الله- كانوا يُخْفُونَ أعمالَهُمْ عن النَّاس، لا يتحدَّثونَ به، ولا يُسَمِّعُونَ به، ولا يُكلِّمُونَ بها أحدًا.

كان أحدُ السَّلف -عليه رحمة الله- يقرأ القرآنَ مِن المصحف، فدخلَ عليه زائرٌ فغطَّاه، وكانَ أحدُ السَّلفِ -عليه رحمة الله- يأوي إلى فراشِهِ ويُخَادِعُ زوجتَهُ، يتظاهرُ بأنَّه نائم، فإذا غلبَ على ظنِّه أنَّها قد نامَتْ؛ قامَ وصلَّى بينَ يدي اللهِ -عز وجل-.

كانَ محمَّدُ بنُ سيرينَ -عليه رحمة الله- يمشي بينَ النَّاسِ في النَّهار، يُمازِحُهُمْ ويتكلَّمُ معهُمْ ويخالطهُمْ، ويُجِيبُهُمْ ويُفتِيهِمْ بكلِّ وجهٍ طلقٍ وبحالٍ طبيعيٍّ جدًّا، فإذا جنَّ الظَّلامُ؛ قامَ وبكى بينَ يدي اللهِ -سبحانه وتعالى-؛ حتَّى قالَ بعضُ أهله: "إنَّه يبكي كأنَّما قد قتلَ قتيلًا"، هكذا كانوا يتعاملونَ مع الأعمالِ الصَّالحة.

كانَ سيِّدُ الفقهاءِ أيوبُ السُّخْتِيَانيُّ -عليه رحمة الله- يُحدِّثُ النَّاسَ ويَعِظُهُمْ ويذكِّرهُمْ باللهِ -سبحانه وتعالى- فرقَّ، وعلم أنَّ دموعَهُ ستنزل، فغطَّى وجهَهُ وتظاهر بأنَّه مزكومٌ؛ حتَّى يخدعَ النَّاسَ ويظنُّوا أنَّه مزكومٌ، ولا يكتشفوا أنَّه يبكي مِن خشيةِ الله.

---

[١] رواه النّسائي، والطبراني، وحسَّنه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، وجود إسنادَه الحافظ في الفتح.

أمَّا اليومُ فالعكسُ!

كانَ عبدُ اللهِ بنُ المبارِكِ -عليه رحمة الله- معَ بعضِ أصحابه، فانطفأ السِّراج، قالوا: "فقمنَا فأصلحنا السِّراجَ، ثمَّ نظرنا إلى ابنِ المبارِكِ، وقدِ ابتلَّتْ لحيتُهُ مِنَ الدُّموعِ".

تأمَّلوا -أيُّها الإخوةُ، بارك الله فيكم- في هذهِ القصص، وانظروا إلى السَّلفِ الصَّالحينَ -عليهم رحمة الله- كيفَ كانوا يُخْفُونَ أعمالَهُمْ عنِ النَّاس؛ لأنَّهم يريدونَ بها وجهَ اللهِ -عز وجل-.

أمَّا أنا وأنتُمْ؛ فلا بدَّ أن نسألَ أنفسَنا سؤالًا صريحًا، ونُجِيبَ عنه بكلِّ واقعيَّة: مَا هو العملُ الَّذي عملتَه، ولا يعلمُهُ النَّاسُ؟ مَا هو العملُ الَّذي بينكَ وبينَ الله لَا يعرفُهُ إلَّا اللهُ -عز وجل-؟

كمْ صدقةً تصدَّقتَ بها ولا يدري بها أحدٌ إلَّا الواحدُ الأحدُ؟ كمْ مرَّةً قرأتَ القرآنَ ودعوتَ اللهَ وذرفتَ الدُّموعَ وقمتَ بين يدي اللهِ؛ ولمْ يَرَكَ أحدٌ، ولم يعلمْ بذاك أحدٌ، ولم تُخبِرْ بذاك أحدًا، ولم تُسمِّعْ به ولم تُحدِّث، كمْ مرَّة؟ هذا سؤالٌ لا بدَّ منه.

لقد أثنى اللهُ -عز وجل- على الَّذينَ يعملونَ الأعمالَ الصَّالحةَ الخالصةَ لله -عز وجل- ويخافون؛ قالَ اللهُ -سبحانه وتعالى-: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠)} [سورة المؤمنون]، لا بدَّ من الخوفِ منَ اللهِ -عز وجل-.

إخواني في الله، انظُرُوا أينَ أنتُمْ من إخلاصِ الأعمالِ للهِ -عز وجل-، أيُّها المجاهدونَ في سبيلِ الله، أيُّها المهاجرونَ في سبيلِ الله، أيُّها الأنصارُ لدينِ اللهِ -عز وجل-، أيُّها الرِّجالُ، أيُّها النِّساءُ، أيُّها الدُّعاةُ إلى اللهِ -عز وجل-؛ حَاسِبُوا أنفسَكُمْ قبلَ أن تُحَاسَبوا، وزِنُوا أعمالَكُمْ قبلَ أن يُوزَنَ لكم، وانظروا أمرَكُمْ أين أنتُمْ مِن الإخلاص.

كمْ سمَّعتُمْ، وكم حدَّثتُمْ، وكم صوَّرتُمْ، وكم مرَّةً نشرتُمْ صُوَرَكُمْ، ونشرتُمْ أسماءكُمْ، وظهرتُمْ تتكلَّمونَ أمامَ النَّاس؟

رَاقِبُوا ربَّ النَّاس، رَاقِبُوا اللهَ -عز وجل-، وأَخفُوا أعمالَكُمْ عنْ أعينِ النَّاس، وأظهروها لربِّ النَّاس -سبحانه وتعالى-، قوموا بين يديِ الكريمِ المنَّان، قوموا بين يديِ الرَّحيم الرَّحمن بكلِّ إخلاصٍ وبكلِّ صدقٍ مع اللهِ -سبحانه وتعالى-، وابتغوا مرضاتَهُ، وابتغوا مَا عندهُ قبلَ أن يأتيَ يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خُلَّةٌ ولَا شفاعة، قبلَ أن يكونَ لا دينارٌ ولا درهم.

أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ؛ أن يرزقَني وإيَّاكُمُ الإخلاصَ في القولِ والعمل، في السِّرِّ والعلن، وفي أمورِنَا كلِّهَا؛ إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

الحلقة الخامسة عشرة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، إله الأوَّلين والآخرين، وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على عبده ورسوله النبيِّ الأمين، وعلى آله وأصحابه الطَّيبينَ الطَّاهرين، ومَنِ اتَّبعهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين؛ أمَّا بعد:

فيا أيُّها الإخوةُ الموحِّدونَ في كلِّ مكان، أُشهِدُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أنِّي أحبُّكم في الله، وأسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يجمعَني وإيَّاكم في ظلِّهِ يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلُّه، اللهمَّ آمين.

إلى إخواني الموحِّدينَ، وإلى أخواتي الموحِّداتِ الَّذينَ يسمعونَ هذهِ الكلماتِ أقول:

إنَّ اللهَ -عز وجل- جعلَ أمَّةَ محمَّدٍ ﷺ خيرَ الأمم، وأوصاها بما يُصلِحُ شأنَهَا إلى يوم القيامة، وأوصاها بالتَّآخي والتَّراحمِ والتوادِّ فيما بينها؛ فقال اللهُ -عز وجل-: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} [سورة التوبة: ٧١]، وقالَ اللهُ -عز وجل-: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [سورة الفتح: ٢٩].

نبيُّنا -عليه الصلاة والسلام- بيَّن أيضًا للأمَّة مَا يُصلِحُ شأنَها إلى يومِ القيامة، وذلكَ بالتوادِّ والتَّراحمِ والتَّآخي ورَصِّ الصَّف؛ فقالَ النبيُّ -عليه الصلاة والسلام-: (مثلُ المؤمنِ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُهُ بعضًا)[١]، وشبَّك بينَ أصابعِهِ -عليه الصلاة والسلام-، وقال: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)[٢]، وقال -عليه الصلاة والسلام-: (مثلُ المؤمنِ لأهلِ

---

[١] رواه البخاري ومسلم وابن حبان وأحمد.

[٢] متفق عليه.

الإيمانِ كمثلِ الرَّأسِ للجسدِ)[١]، إذا توجَّعَ الجسدُ للألمِ الَّذي في الرَّأس، كذلك يتوجَّعُ المؤمنُ للألمِ الَّذي في الجسد؛ لأنَّ الأمَّة مَثَلُها كمثلِ الجسدِ الواحدِ.

فيا أيُّها الإخوةُ، ويا أيَّتها الأخواتُ في كلِّ مكان؛ إنِّي أذكِّرُ نفسي وأذكِّركم بفضيلةِ المحبَّة في الله، وفضيلةِ التَّوادِّ والتَّراحمِ فيما بيننا؛ إنَّ نبيَّنا ﷺ أخبر -كما في الصَّحيح- أنَّ اللهَ -عز وجل- يومَ القيامةِ ينادي: (أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي)[٢].

أخبرنا نبيُّنا -عليه الصلاة والسلام- في هذا الحديثِ العظيمِ بعظيمِ منزلةِ المتحابِّينَ في الله، والمتآخينَ فيه.

وجاءَ في الصَّحيحِ مِن حديثِ أنسٍ -رضي الله عنه وأرضاه- أنَّ النبيَّ ﷺ قال: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)[٣].

وروى أبو داودَ في سُنَنِهِ مِن حديثِ أبي أمامةَ -رضي الله عنه وأرضاه- أنَّ النبيَّ ﷺ قال: (مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ)[٤]، زادَ أحمدُ في مسندِهِ: (وَأَنْكَحَ لِلَّهِ؛ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ)[٥].

إنَّ نبيَّنا ﷺ يبيِّنُ لنا في سنَّته، يبيِّنُ لنا مِن خلالِ الوحيِ الَّذي أوحاه اللهُ -عز وجل- إليه؛ عظيمَ شأنِ توادِّ المؤمنينَ فيما بينَهُمْ، وعظيمَ شأنِ تراحمِهِمْ، بل أعظم مِن ذلك، قالَ

---

[١] رواه أحمد والطبراني في الكبير. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير سوار بن عمارة الرملي وهو ثقة. قال الأرنؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف مصعب بن ثابت، لكنه قد توبع.

[٢] رواه مسلم.

[٣] متفق عليه.

[٤] إسناده حسن.

[٥] حديث صحيح لغيره، قال الحافظ العراقي: إسناده ضعيف. قال الترمذي: حديث منكر، و قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

النبيُّ -عليه الصلاة والسلام-: (مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ)[١]، وفي لفظٍ قال: (لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ)[٢]، وفي حديثٍ آخرَ قال: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ)[٣].

أُخْبِرَ النبيُّ ﷺ أنَّ ولدًا لابنتِهِ في سكراتِ الموت، فأُجْلِسَ الولدُ على فخذِ النبيِّ ﷺ وهو ينظرُ إليه يَتَقَعْقَعُ وروحُهُ تَخرُجُ، فبكى النبيُّ ﷺ، وذرفَ عليه الدُّموعَ، فقالَ لهُ [عبد الرحمن بن عوف][٤] -رضي الله عنه وأرضاه-: "تَبْكِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟!"[٥]، فقالَ النبيُّ ﷺ: (إِنَّهَا رَحْمَةٌ)[٦].

فيا أيُّها الإخوة، ويا أيَّتها الأخواتُ في كلِّ مكان؛ انظروا إلى واقعِنَا اليوم؛ أينَ نحنُ مِن التَّآخي؟! أينَ نحنُ مِن التوادِّ فيما بينَنَا؟! أينَ نحنُ مِن الحبِّ في الله؟! أينَ نحنُ مِن التَّراحم؟!

قلَّ -والله- الرَّاحمونَ، وقلَّ -والله- المتحابُّونَ في الله، مَن منَّا يذكرُ الأسرى؟! ومَن منَّا يذكرُ الأسيرات؟! مَن منَّا يدعو للجرحى؟! مَن منَّا يذكرُ المصابينَ؟! مَن منَّا يدعو لمن ابتلاهُ اللهُ بالدَّين؟! مَن منَّا يدعو لمن ابتلاهُ اللهُ بالمسِّ أو السِّحر؟! مَن منَّا يبكي لحال المستضعَفِينَ في دارِ الكفر، الَّذين يبكونَ ويتقطَّعونَ شوقًا إلى الدُّخولِ إلى دار دولة الإسلام؟!

أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيم؛ أن يمنَّ عليهم جميعًا بدخولِ دولة الإسلام، أو أن يمنَّ علينا نحنُ بالوصولِ إليهم؛ لرفعِ رايةِ التَّوحيدِ فوقَ أرضهم، وتحويلِهَا مِن دارِ كفرٍ إلى دارِ إسلام؛ إنَّه وليُّ ذلكَ والقادرُ عليه.

---

[١] رواه البخاري.

[٢] رواه البخاري.

[٣] رواه أحمد والترمذي والحاكم. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم بعد أن ذكره مع أحاديث عدة في الباب: وهذه الأحاديث كلها صحيحة، ووافقه الذهبي.

[٤] في الأصل ذكر المتحدث كعب -رضي الله عنه- وهو خطأ.

[٥] هذا لفظ الحاكم في المستدرك وغيره.

[٦] رواه البخاري،

أيُّها الإخوةُ الكرام، وأيَّتها الأخواتُ الكريمات؛ لا بدَّ أن نراجعَ أنفسَنَا، وننظرَ في أمرنا؛ أينَ نحنُ مِن وصيَّة نبيّنا ﷺ؟ وأينَ نحنُ مِن وصيَّة ربّنا -سبحانه وتعالى- لنا بالتَّآخي والتَّراحمِ والتَّوادِّ فيما بيننا؟ أينَ نحنُ مِن جمعِ الكلمة؟ وأينَ نحنُ مِن رصِّ الصَّف؟

فيا إخواني، ويا أخواتي؛ إنَّ كلمةَ التَّوحيدِ تَجمَعُ الموحِّدينَ ولا تُفرِّقُهُمْ، إنَّ كلمةَ "لا إله إلَّا الله، محمَّدٌ رسولُ الله" تَجمَعُ الموحِّدينَ والموحِّدات، ولا تفرِّقُهُمْ، إنَّ صفَّ المؤمنينَ واحد؛ لأنَّ ربَّهُمْ واحد، ولأنَّ دينَهُمْ واحد، ولأنَّ دينَهُمْ -دينَ الحقِّ- واحد.

فيا إخواني، ويا أخواتي؛ اطمِسُوا الجاهليَّات، واجعلوها تحتَ أقدامِكُمْ، اطمِسُوا العشائريَّات، اطمسوا كلَّ سببٍ للتَّفرُّقِ فيما بينَكُمْ، اطمِسُوا المشاكل، واطمِسُوا مَا حصلَ بينَنَا مِن مشاكلَ أو اختلافٍ أو تنازع، وارجعوا -يا إخواني- لنكونَ كالجسدِ الواحدِ، نتألَّمُ لبعضِنَا، نحزَنُ لحزنِ بعضِنا، ونفرَحُ لفرحِ بعضِنَا، وندعو لأنفسِنَا بظهرِ الغيب.

إنَّ اللهَ -عز وجل- إذا سمعَ المؤمنَ يدعو لأخيه بظهرِ الغيب؛ رضي عنهُ وعن أخيه؛ لذلكَ جاءَ عن نبيّنا -عليه الصلاة والسلام-: (أنَّ المؤمنَ إذا دعا لأخيه المؤمنِ بظهرِ الغيب؛ قالَ الملكُ: ولك مثلُهُ)[١].

وأخبرنا نبيُّنا ﷺ في سنَّتِهِ أيضًا؛ أنَّ اللهَ -عز وجل- يعينُ المؤمنينَ إذا أعانَ بعضُهُمْ بعضًا؛ فقال النبيُّ ﷺ: (وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)[٢].

إنَّ إخوانَنا يرابطونَ في الثُّغور، ويقاتلونَ في سبيلِ اللهِ -عز وجل-، لا بدَّ أن نعينَهُمْ بكلِّ مَا نستطيع، لا بدَّ أن نعينَهُمْ بالنَّفسِ والمالِ واللِّسان والدُّعاء، لا بدَّ أن نعينَهُمْ بالبعدِ عنِ الذُّنوبِ والمعاصي، حتَّى لا نؤخِّرَ عنهُمُ النَّصر.

إنَّ إخوانَنا في السُّجونِ يعانونَ، وإنَّ أخواتِنَا في السُّجون يُعذَّبنَ على أيدي الكفَّارِ والمرتدِّين، لا بدَّ أن ندعو لهم، لا بدَّ أن نبكي لحالهم.

---

١ رواه مسلم بنحوه.

٢ رواه مسلم.

إنَّ نبيَّنا ﷺ كان جالسًا مع أصحابه -كما روى ذلك عليُّ بنُ أبي طالب- فدخل مصعبُ بنُ عُمَيْرٍ -رضي الله عنه وأرضاه- الَّذي كانَ قبلَ الإسلامِ مِن أغنى الأغنياء، دخلَ -رضي الله عنه وأرضاه- على رسولِ الله ﷺ وهو يرتدي بُرْدَةً مرقوعةً بِفَرْوٍ، فلمَّا نظرَ إليه النبيُّ ﷺ: بكى لحاله[١].

هذا نبيُّنا -عليه الصلاة والسلام- بكى لحالِ المستضعفينَ، بكى لحالِ المسلمين، رحم أمَّتَه مَن رأى منهُمْ ومَن لم يرَهُ؛ فأخبرَ نبيُّنا ﷺ في قوله: (إنَّ لكلِّ نبيٍّ دعوةً مستجابةً دعاها إلَّا أنا، ادَّخرتُهَا شفاعةً لأمَّتي يومَ القيامة)[٢].

هكذا يعلِّمُنَا نبيُّنا ﷺ كيفَ يَحرِصُ بعضُنا على بعض، وكيفَ يحمي بعضُنا بعضًا، وكيفَ يدعو بعضُنا لبعضٍ؛ إنَّنا نرى المسلمينَ يُقتَّلونَ في كلِّ مكان، ويُعذَّبونَ في كلِّ مكان، ويُشرَّدونَ ويُهجَّرونَ ويُقصَفونَ ويَجُوعُونَ، ولا تنزلُ لنا دمعةٌ، ولا تتمعَّرُ وجوهُنَا، ولا تحمرُّ أعينُنَا، ولا تشتعلُ النَّارُ في قلوبنا لنذودَ عنهم!

إنَّ نبيَّنا ﷺ لمَّا أُخبِرَ بأنَّ المستضعفينَ قد قُتِلُوا في مكَّةَ على يدِ قريش؛ قامَ وقالَ: (لا نَصَرَنِي اللهُ إِنْ لم أنصُرْكم)[٣]، وسارَ إليهِمْ بعشرةِ آلافِ مقاتل.

أينَ نحنُ مِن نصرةِ المستضعفينَ الَّذينَ يَئِنُّونَ في كُلِّ مكان؟! أينَ أنتَ أيُّها المسلمُ، وأينَ أنتِ أيَّتها المسلمة؟!

يا مَن تَقضُونَ اللَّياليَ تلو اللَّيالي تلو اللَّيالي مع المسلسلاتِ والأغاني والأفلام! يا مَن تَمرَحُونَ وتَسرَحُونَ وتَلعَبونَ وتأكلون وتشربون! أينَ أنتُمْ مِن أمَّتِكُمْ؟! أينَ أنتُمْ مِن أمَّة نبيِّنا ﷺ؟! أينَ أنتُمْ مِن هديه؟!

---

[١] رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

[٢] متفق عليه.

[٣] رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة، والبيهقي في السنن الكبير، وابن عساكر في تاريخ دمشق. قال الهيثمي في المجمع: رواه أبو يعلى عن حزام بن هشام بن حبيش عن أبيه، عنهما، وقد وثقهما ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح. ولفظ أبي يعلى: "لَا نَصَرَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَنْصُرْ بَنِي كَعْبٍ".

فيا إخواني، ويا أخواتي؛ باللهِ عليكم، راجعوا أنفسَكُمْ، وقفوا مع أنفسِكُمْ وقفةً بحقٍّ وصدقٍ، واتلوا قولَ اللهِ -عز وجل-: {وَقِفُوهُمْۖإِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤)} [سورة الصافات]، وقولَ اللهِ -عز وجل-: {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦)} [سورة الأعراف].

واعلموا أنَّ اللهَ سائلُكُمْ عنْ أمَّةِ محمَّد ﷺ: ماذا قدَّمتُمْ لها؟! واعلموا أنَّ اللهَ سائلُكُمْ عنْ دينِ محمَّدٍ ﷺ: ماذا قدَّمتُمْ له؟!

فيا إخواني، ويا أخواتي؛ تكاتَفُوا مع إخوانِكُمْ، ورصُّوا صفَّكُمْ، واجمعوا كلمتَكُمْ؛ فإنَّ غايةَ الموحِّدينَ واحدة، وإنَّ غايةَ الموحِّداتِ واحدة، وهي: الوصولُ إلى رضا اللهِ -عز وجل- والفوزُ بدخولِ جنَّتِهِ -سبحانه وتعالى- ورفقةِ نبيِّه ورفقةِ النَّبيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ والصَّالحينَ، والفوزُ بأعظمَ مِن ذلكَ كلِّه: برؤيةِ اللهِ ربِّ العالمين.

فيا إخواني، ويا أخواتي؛ ارجعوا إلى كتابِ اللهِ -عز وجل- وإلى سنَّةِ نبيِّنا ﷺ: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [سورة آل عمران: ١٠٣].

انذِرُوها للهِ -عز وجل- واجعلوها للهِ -عز وجل- خالصةً، وفرِّغُوا قلوبَكُمْ مِن الأحقادِ والضَّغائنِ والغلِّ على المؤمنينَ والمؤمناتِ، وكونوا كذلكَ الرَّجلِ الَّذي مِن أهلِ الجنَّة، الَّذي أخبرَ عنهُ النبيُّ -عليه الصلاة والسلام-، الَّذي كانَ لا يُكثِرُ مِن صيامٍ ولا قيامٍ؛ إلَّا أنَّه كانَ لا يبيتُ حتَّى يكونَ قلبُهُ سليمًا على كلِّ مسلمٍ ومسلمة.

أُشهِدُ اللهَ العظيمَ، وأُشهِدُ ملائكتَهُ الكرامَ، وأُشهِدُكُمْ؛ أنِّي عفوتُ وسامحتُ كلَّ مسلمٍ ومسلمةٍ ظلموني أوِ اغتابوني أو تكلَّموا عليَّ بحقٍّ أو بغيرِ حقٍّ.

ثمَّ أدعوكم بعد هذا؛ لأنْ تقولوا هذا الكلامَ، فتعفُوا وتصفَحُوا وتُسَامِحُوا كلَّ مسلمٍ أو مسلمةٍ ظلموكُمْ أوِ اغتابُوكُمْ أو طَعَنُوا فيكُمْ، أو أخذوا مِن حقِّكُمْ بحقٍّ أو بغيرِ حقٍّ، وأبشروا بعدَ هذا بالفوزِ في الدُّنيا والآخرة؛ لأنَّ الجزاءَ مِن جنسِ العمل؛ يقولُ اللهُ -عز وجل-: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠)} [سورة الرحمن].

أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ: أن يؤلِّفَ بينَ قلوبِ المسلمينَ، وأن يَجمَعَ كلمةَ المسلمينَ، وأن يرصَّ صفوفَ المسلمينَ؛ إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

الحلقة السادسة عشرة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، إله الأوَّلين والآخرين، وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على عبده ورسوله النبيِّ الأمين، وعلى آله وأصحابِهِ الطَّيبينَ الطَّاهرين، ومَن اتَّبعهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين؛ أمَّا بعد:

فأسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ بكلِّ أسمائه الحسنى، وبكلِّ صفاته العلا؛ أن يتولَّاني وإيَّاكم جميعًا برحمته الواسعةِ في الدُّنيا والآخرة؛ إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه، ثمَّ أمَّا بعد:

فلقد حثَّ اللهُ -سبحانه وتعالى- عبادَهُ المؤمنينَ على الاجتماعِ ورصِّ الصَّفِّ وجمعِ الكلمة، وحذَّرهُمْ سبحانه مِن التَّفرُّق والتَّنازع؛ فقال سبحانه: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣)} [سورة آل عمران].

بيَّنَ اللهُ -سبحانه وتعالى- في هذهِ الآيةِ الكريمةِ عظيمَ منزلةِ الاعتصامِ بحبلِ اللهِ -عز وجل- الَّذي قال المفسِّرونَ -رحمهم الله- عنه: "إنَّه الاعتصامُ بالتَّوحيد"، وقالَ بعضُهُمْ: "هو الاعتصامُ بكتابِ اللهِ -عز وجل-".

وحذَّرنا سبحانه في الآيةِ نفسِهَا مِن التَّفرُّقِ والتَّنازعِ والتَّشرذُم؛ لأنَّ هذا ممَّا يساعدُ الشَّيطانَ وحزبَهُ على التَّغلُّبِ على المؤمنين.

فيا أيُّها الإخوة في الله، ويا أيَّتها الأخوات في الله؛ إليكُمْ هذهِ الكلماتِ عنْ خطورةِ التَّنازعِ وفضيلةِ إصلاحِ ذاتِ البين:

حذَّرنا اللهُ -عز وجل- منَ التَّنازُعِ في قوله: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)} [سورة الأنفال].

وبيَّن لنا رسولُنا ﷺ سببَ التَّنازُعِ بينَ المؤمنينَ، وسببَ التَّنازُعِ بينَ المؤمنات؛ فقال ﷺ كما روى ذلك مسلمٌ في صحيحِهِ مِن حديثِ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ الأنصاريِّ -رضي الله عنهما- أنَّ النبيَّ ﷺ قال: (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ)، هذا هو السَّبب.

إنَّ الشَّيطانَ يُحرِّشُ بينَ المسلمينَ والمسلمات، الَّذينَ تَربِطُهُمْ رابطةُ الدِّين، وتَربِطُهُمْ بعدَ رابطةِ الدِّينِ رابطةُ الأبوَّة أو الأخوَّة أو البنوَّة أو الزَّوجيَّة، فيأتي يُحرِّشُ بينَ الأبِ وأولادِه، والأمِّ وأولادِها، والزَّوجِ وأزواجِهِ، والأخِ وإخوانِهِ وأخواتِه، يُحرِّشُ بينهُمْ بأمرٍ في البدايةِ صغيرٍ، ثمَّ يَكبُرُ ويَكبُرُ ويَعظُمُ؛ حتَّى يكونَ كالبركانِ فينفجر، فيقعَ حينئذٍ التَّنازُعُ بينهُمْ، فيتشرذموا ويحمل الواحدُ منهُمْ في قلبه على الآخر، وحينئذٍ يَفرَحَ الشَّيطان، وينتفخُ الانتفاخَ الكبير، -عليه لعنة الله-.

فما الحلُّ أيُّها الإخوة؛ وقد كثُرَ التَّنازعُ بينَ المسلمين، وانتشرَ الاختلافُ بينَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في كلِّ مكان؛ إلَّا مَن رحمَ اللهُ -سبحانه وتعالى-؟!

إنَّ الحلَّ كلَّ الحلِّ في كتابِ اللهِ سبحانه، وفي سنَّةِ رسوله ﷺ، إنَّ الحلَّ بالاعتصامِ بكتابِ الله وسنَّةِ رسوله، بيَّن اللهُ -عز وجل- لنا فضيلةَ إصلاحِ ذاتِ البين؛ فقال: {وَالصُّلْحُ خَيْرٌ} [سورة النساء: ١٢٨]، وقال: {لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)} [سورة النساء].

لقد بيَّن اللهُ -عز وجل- في كتابِهِ مَا حصلَ بينَ الصَّحابةِ الكرامِ -رضي الله عنهم وأرضاهم- مِن الاقتتالِ فيما بينهُمْ؛ فقال: {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} [سورة الحجرات: ٩]، ثمَّ قال في الآيةِ الَّتي تليها: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)}.

فبيَّن اللهُ -عز وجل- أنَّ اقتتالَ المؤمنينَ فيما بينهُمْ لم يَكسِرْ صلةَ أخوَّةِ الدِّين، ولم يكنْ هـذا الاقتتالُ فيما بينهُمْ أقوى وأكبرَ وأعظمَ مِن أخوَّتِهِمْ في دينِهِمْ، لم تُفَكَّ آصِرةُ الأخوَّةِ بينهُمْ، مع أنَّهُمْ اقتتلوا وسالتِ الدِّماءُ وكثُرَتِ الجراحُ فيما بينهُمْ، ولكنِ التَّوحيدُ أعظم، ولكن "لا إلـه إلَّا الله محمَّدٌ رسولُ اللهِ" أعظمُ وأكبرُ وأجلُّ وأزكى مِن الاقتتال؛ فقال سبحانه: {فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ}، أي: بينَ أخويكُمُ الَّذينَ اقتتلا فيما بينهُمَا مع أنَّهما مسلمان، هكذا يعلِّمنا اللهُ -عز وجل- عظيمَ شأنِ إصلاحِ ذاتِ البين، وعظيمَ شأنِ أخوَّةِ الدِّين، الَّتي ليسَ فوقَها أخوَّة.

فيا أيُّها المسلمون، ويا أيُّها المسلماتُ في كلِّ مكان، وخاصَّةً الَّذينَ تفرَّقوا بسببِ مشكلةٍ حصلت، إلى كلِّ زوجٍ وزوجة، إلى كلِّ أمٍّ وأولادها، إلى كلِّ أبٍ وأولاده، إلى كلِّ أخٍ أو أخت، وإخوانِهِمْ وأخواتِهِمْ: تنازعوا أو تفرَّقوا، وحصلتْ بينهُمْ مشكلةٌ، كائنًا مَّا كانتْ تلكَ المشكلة: إنِّي أعظُكُمْ بحادثةٍ حصلتْ معَ خليفةِ نبيِّنا ﷺ، وأفضلِ الأمَّةِ بعدَ النبيِّ ﷺ، وهو أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ -رضي الله عنه وأرضاه-.

إنَّكم تعلمونَ -أيُّها المسلمون، وأيَّتها المسلماتُ جميعًا- حادثةَ الإفكِ الَّتي حصلت، وكيفَ اتُّهِمتْ أمُّ المؤمنينَ عائشةُ -رضي الله عنها وأرضاها- في عرضِها الشَّريف، ثمَّ برَّأها اللهُ -عز وجل- مِن فوقِ سبعِ سماواتٍ في سورةِ النُّور.

ولكنْ لمَّا حصلتْ حادثةُ الإفك؛ تكلَّم مَن تكلَّم حتَّى مِن بعضِ الأفاضل، حتَّى من بعضِ المهاجرينَ في سبيل الله، ومنهُمْ مِسطَحٌ -رضي الله عنه وأرضاه- ابنُ خالةِ أبي بكرٍ الصِّدِّيق، تكلَّم في أمِّ المؤمنينَ عائشةَ -رضي الله عنها وأرضاها-، وكانَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ -رضي الله عنه وأرضاه- قبل ذلك يُعطِي العطايا لِمسطَحٍ بسببِ أخوَّة الدِّين، وبسببِ صلةِ القُربَى الَّتي بينهُ وبينه.

فلمَّا بلغَ أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ -رضي الله عنه وأرضاه- أنَّ مسطحًا قد تكلَّم؛ حلفَ أبو بكرٍ ألَّا ينفعَهُ بمنفعةٍ أبدًا! ثمَّ نزلَ بعد ذلك الوحيُ ببراءةِ أمِّ المؤمنينَ عائشة، فطابَ قلبُ أبي بكرٍ الصِّدِّيق، ثمَّ جلدَ النبيُّ ﷺ كُلَّ مَن تكلَّم في أمِّ المؤمنينَ حدَّ القذفِ، ثمَّ أنزلَ اللهُ -عز

وجل- قولَه: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُواۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢)} [سورة النور].

فقالَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ: "بلى -واللهِ- نحبُّ أن يغفرَ اللهُ لنا"، فعفا عن مِسطَح، وأعادَ إليه مَا كان يعطيه مِن العطايا قبلَ تلك الحادثة، وحلفَ ألَّا يقطعَها عنهُ أبدًا.

انظرْ أخي، وانظري أختي إلى هذا الخُلُقِ الكريم، انظروا إلى هذا الرَّجلِ النَّبيل، تكلَّم رجلٌ في ابنته، تكلَّم رجلٌ في عرضِ ابنتِهِ الطَّاهرة الشَّريفة، ثمَّ أنزلَ اللهُ موعظةً له ولكلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ في قوله: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا}، فعفا وصفح، ولكنْ عمَّن؟ عمَّن تكلَّم في ابنته!

فما هي المشكلةُ الَّتي حصلتْ بينَكُمْ -إخواني وأخواتي- الَّتي هي أعظمُ مِن هذه؟! بلْ مَا هي المشكلةُ الَّتي حصلتْ بينكُمْ -إخواني وأخواتي- الَّتي هي أعظمُ مِن الاقتتال، وأعظمُ من سيلِ الدَّم وكثرةِ الجراحِ بينَ المؤمنينَ؟! ومع هذا يقولُ اللهُ: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}.

قالَ اللهُ -عز وجل-: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩)} [سورة الأعراف]، في هذهِ الآيةِ جُمِعَتْ كلُّ مكارمِ الأخلاق.

يقولُ اللهُ -عز وجل-: {خُذِ الْعَفْوَ}؛ خذْ أحسنَ مَا عندَ النَّاسِ مِنْ مكارمِ أخلاقهم، {وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ}؛ وَأْمُرْهُمْ بأحسنِ مَا عندَكَ مِن مكارمِ الأخلاق، {وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}؛ وأعرضْ عنْ إساءةِ المسيئين.

إنَّ لنا في القرآنِ الكريمِ خيرَ حلٍّ لكلِّ مشاكلنا، انظروا إلى الصِّدِّيقِ يوسفَ -عليه أفضلُ الصَّلاة وأزكى السَّلام، وعلى سائرِ الأنبياءِ والمرسلين- لمَّا ألقاهُ إخوانُهُ في البئر، وكاد أن يموتَ ويَهلَك، وكادتْ أن تأكلَهُ الوحوشُ والسِّباع، ثمَّ بعد ذلك أُخرِج، ثمَّ أصبحَ عزيزَ مصر، فأتوهُ وهُمْ خائفونَ منه، أتوهُ وهُمْ يظنُّونَ أنَّه سيفتكُ بهم؛ ماذا قال لهم؟ {قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢)} [سورة يوسف].

هذا هو خُلُقُ الأنبياءِ والمرسلين، وهذا هو خُلُقُ الصَّحابة، وهذا هو خُلُقُ الصَّالحين في كلِّ زمانٍ ومكان: العفوُ والصَّفحُ عمَّن أساء، وإزالةُ كلِّ المشاكلِ من صفِّ المؤمنينَ، وجمعُ الكلمةِ ورصُّ الصَّف.

هذا هو دينُنا أيَّتها الأخوات، هذا هو دينُنا أيُّها الإخوةُ الأفاضلُ الكرماءُ في كلِّ مكان، لا بدَّ أن نزيلَ المشاكل، لا بدَّ أن نزيلَ الغلَّ من الصُّدور، لا بدَّ أن نجمع الصَّف، لا بدَّ أن نَرُصَّ الصَّف ونجمع الكلمة، كما بيَّن لنا ذلك ربُّنا في القرآنِ الكريم، وفي سنَّة نبيِّه ﷺ.

هكذا كانَ النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- لمَّا جاءه أهلُ الطَّائف مسلمين؛ ما ذكَّرهم أنَّهم قد ضربوه بالحجارةِ حتى سالَ دمُه، لمَّا جاءتهُ هندُ بنتُ عتبةَ وأسلمت؛ ما ذكَّرها بأنَّها أكلتْ كبدَ حمزةَ يومَ أُحُد! هذا هو خُلُقُ نبيِّنا ﷺ، بل عفا وصفح، وقال: (اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقاءُ)[١]، لا بدَّ أن نسيرَ خلف نبيِّنا ﷺ، ونقتديَ بأمره، ونستنَّ بسنَّته في كلِّ صغيرةٍ وكبيرة.

إنَّ أعداءَ الدِّينِ يستفيدونَ من تفرُّقِ المسلمين، إنَّ أعداءَ الدِّين مِن الكفَّارِ والمرتدِّينَ يتمنَّونَ أن يتشرذمَ المسلمون، وأن يتمزَّقَ صفُّهم، حتَّى يستضعِفُوا بعضَهُمْ دونَ بعض، بخطَّةِ فرعونَ -لعنه الله-.

فيا أيُّها المسلمونَ في كلِّ مكان؛ طؤوا بأقدامِكُمْ على أنفِ إبليسَ وأجنادِه مِن شياطينِ الإنسِ والجنِّ، واعفوا واصفَحُوا عن بعضِكُمُ البعض، واجعلوها للهِ -عز وجل-، اجعلوها كما جعلها أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ للهِ ربِّ العالمين، وقولوا كما قالَ الصِّدِّيقُ قبلَكُمْ: "بلى -والله- إنَّا نحبُّ أن يغفرَ اللهُ لنا".

فاعفوا واصفَحُوا عن بعضِكُمُ البعض، وأزيلُوا مشاكلَكُمْ، وليُبَادِرِ المظلومُ إلى العفوِ عن الظَّالم، وليُبَادِرْ مَن أُسِيءَ في حقِّه إلى العفوِ عمَّن أساءَ إليه، وليُبَادِرْ مَن أُخطِئَ في حقِّه إلى العفوِ عمَّن أخطأ في حقِّه، كما قال اللهُ -عز وجل-: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨)} [سورة الحجر].

---

[١] رواه ابن إسحاق في السيرة دون سند (مرسل مع جهالة المرسِل).

أسـألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العـرشِ العظيمِ؛ أن يُصلِحَ ذاتَ بينِ المسـلمينَ والمسـلماتِ في كلِّ مكان، وأن يجمعَ كلمتَهُمْ، وأن يَرُصَّ صفَّهُمْ؛ إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

الحلقة السابعة عشرة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، إله الأوَّلين والآخرين، وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على عبده ورسوله النبيِّ الأمين، وعلى آله وأصحابه الطَّيبينَ الطَّاهرين، ومَن اتَّبعهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين؛ أمَّا بعد:

أيُّها الأكارم، سنجيبُ عن سؤالِ بعضِ النَّاس: كيف نصبرُ أمامَ هذهِ الفتن، وفي وجهِ هذهِ المحنِ الَّتي تَعصِفُ بأمَّة النبيِّ ﷺ، بعد أن تكالبتْ عليها كلُّ الأممِ الكافرةِ من كلِّ مكان، كما تتكالبُ أو كما تتداعى الأكلةُ على قَصْعَتِهَا.

والجوابُ على هذا السُّؤالِ العظيم: **نصبرُ على هذهِ المحن وهذهِ الشَّدائدِ والفتنِ بعدَّةِ أمور:**

أمَّا الأمرُ الأوَّل: فأنْ نعلمَ فضلَ الصَّبرِ وأهلِهِ مِن القرآنِ والسُّنَّة؛ يقولُ اللهُ -عز وجل-: {وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)} [سورة البقرة].

تأمَّلْ يا عبدَ الله، وتأمَّلي يا أمةَ الله؛ هذه بشارةٌ مِن ربِّ العالمينَ مِن فوقِ سبعِ سماواتٍ مِن فوقِ عرشِهِ الكريم، أرسلَ بها جبريلَ -عليه السلام- إلى محمَّد ﷺ بهذا الوحيِ الشَّريف، وحيِ القرآنِ الكريم؛ ليُبَشِّرَ كلَّ صابرٍ وصابرةٍ على أيِّ مصيبةٍ إلى يومِ القيامةِ ببشارةٍ ربَّانيَّةٍ عظيمة؛ بأنَّ الرَّحمةَ والهدايةَ لأهلِ الصَّبرِ على المصائب إذا حلَّتْ بهم، فقالوا: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}، أي: نحنُ ملكٌ لله، عبيدٌ لله، يفعلُ بنا مَا يشاءُ {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}.

{وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}، إنَّا سنرجعُ إلى الله، ونقفُ بينَ يدي الله، ويجازينا على صبرنا على المصائبِ بما شاء، كما قال سبحانه: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠)} [سورة الزمر].

إنَّ أهلَ الصَّبر يومَ القيامة سيعطيهِمُ اللهُ -عز وجل- مِن العطايا مِن غيرِ أن يحسبَ لهم، يعطيهِمْ مِن غيرِ وزنٍ ولا كيل، يعطيهِمْ في الجنَّة مِن العطايا بغيرِ حساب؛ لأنَّهم صبروا على مصائبِهِمْ في الدُّنيا، وهم يرجونَ هذا الثَّوابَ عنده -سبحانه وتعالى-.

ولا بدَّ أن نعلمَ فضلَ الصَّبر وأهلِهِ مِن خلالِ السُّنة النبويَّة الصَّحيحة، كما روى مسلمٌ في صحيحه مِن حديثِ صهيبِ بنِ سنانٍ -رضي الله عنه وأرضاه- قال: قال رسولُ الله ﷺ: (عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ).

فأنتَ يا عبدَ الله، وأنتِ يا أمةَ الله في هذه الدُّنيا بينَ خيرين، وبينَ سعادتين: إمَّا أن تحلَّ بكم سرَّاءُ فتشكروها وتفوزوا، وإمَّا أن تحلَّ بكم ضرَّاءُ فتصبروا عليها وتفوزوا.

وقد تعجَّب النبيُّ ﷺ لهذه الكرامةِ الَّتي لم يجعلْهَا اللهُ إلَّا للمؤمنينَ الموحِّدين، أهلِ "لا إله إلَّا الله" قولًا وعملًا، الَّذين جعلوا "لا إله إلَّا الله" عقيدةً لهم وشريعةً لهم ومنهاجًا لحياتهم ومفتاحًا لسعادتِهِمْ في دنياهم وأخراهم.

ثمَّ بعدَ هذا لا بدَّ أن نعلمَ ما الَّذي يعينُنا على الصَّبر في هذهِ المحنِ والشَّدائد؟

يقولُ اللهُ -عز وجل-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣)} [سورة البقرة].

نبَّهنا اللهُ -سبحانه وتعالى-، ووجَّهنا اللهُ -عز وجل- في هذهِ الآيةِ الكريمة: أن نستعينَ بالصَّلاة، صلاةِ الفرضِ والتَّطوُّع؛ لنَثْبُتَ في الشَّدائدِ والمحن، ومَا أجملَ الصَّلاةَ إنْ أدركَ المصلِّي حقيقةَ الصَّلاة، وعلم لماذا تُسمَّى بالصَّلاة؟ تُسمَّى بالصَّلاة: لأنَّها تصلُ العبدَ بالرَّب.

فأنتَ عندما تكونُ في الشِّدَّةِ والمحنةِ والضِّيق؛ تتَّصلُ بالله -عز وجل- بصلاتك، فيُنْقِذُكَ اللهُ -عز وجل- بحبلِهِ المتين، ويجرُّكَ من الضِّيق ومن المحنةِ ومن الشِّدَّة؛ فهو أرحمُ الرَّاحمين.

تقفُ بينَ يدي الله -عز وجل-، وتصلِّي بين يديه، فتركعُ وتسجدُ، ثمَّ تدعوه وأنتَ ساجد، وتشكو إليه وتبثُّ إليه همومَكَ وآلامَكَ وأحزانَك، كما قالَ اللهُ -عز وجل- حكايةً عن يعقوبَ -عليه الصلاة والسلام-: {قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦)} [سورة يوسف].

فأنتَ في الصَّلاةِ تشكو إلى الله، وتناجي الله، وتبثُّ همومَك إلى اللهِ -سبحانه وتعالى- وهو يُثبِّتُ، وهو يعينُ، وهو ينصرُ -سبحانه وتعالى-.

ثمَّ بعد هذا لا بدَّ أن ننظرَ إلى مَن سبقنا مِن الصَّابرين، مِن أئمَّة الصَّبر: الأنبياءِ والمرسلين، ثمَّ مَن بعدهُمْ مِن الصَّالحينَ والحواريّين، ومِن الصَّحابةِ والتَّابعين، ننظرُ إليهِمْ كيف صبروا.

ولقد ضربَ اللهُ -سبحانه وتعالى- لنا الأمثلةَ في القرآن، ضربَ اللهُ المثلَ بمريم وهي شابَّة، وضربَ اللهُ المثلَ بأمِّ موسى وهي امرأةٌ كبيرة، وضربَ اللهُ مثلًا بهاجرَ وهي أمٌ في شدَّةِ الضَّعف وقد وَلَدَتْ حديثًا، وضربَ اللهُ المثلَ بزوجةِ فرعون، وضربَ اللهُ المثلَ بمَاشِطَةَ ابنةِ فرعون.

وهنا سؤالٌ مهمٌّ ينبغي أن يسألَهُ كلُّ موحِّدٍ لنفسه: لماذا ضربَ اللهُ لنا المثلَ بالنِّساء؟ لأنَّ النِّساءَ هنَّ الأضعف، فضربَ اللهُ المثلَ بالأضعف؛ حتَّى لا يبقي عذرًا للقويِّ.

لو ضُرِبَ المِثَالُ بالرِّجال لاعتذرتِ النِّساء، ولو ضُرِبَ المثالُ بالأقوياءِ لاعتذرَ الضُّعفاء، ولكنَّ اللهَ -عز وجل- بحكمته الَّتي ظهرتْ كلَّ العقول؛ ضربَ المثلَ بالأضعف؛ حتَّى لا يبقى عذرٌ للأقوى.

لقد خرجَ إبراهيمُ -عليه الصلاة والسلام- بهاجرَ -عليها السلام- وولدِهَا الرَّضيعِ إسماعيلَ إلى صحراء، إلى وادي مكَّةَ وادٍ غيرِ ذي زرع، ليسَ فيه زرعٌ، وليسَ فيه بشرٌ، وليسَ فيه خيمةٌ، وليسَ فيه أحدٌ، مع بعضِ التَّمرِ وبعضِ الماء، فتركها مع طفلِهَا الرَّضيع، ثمَّ رجع.

تأمَّل عبدَ الله، وتأمَّلي أمةَ الله؛ في وسطِ الصَّحراء! أمٌّ ولدتْ حديثًا، وطفلٌ رضيعٌ صغير، وخوفٌ شديد، ونقصٌ في الأموالِ والأنفسِ والثَّمرات.

رجعَ إبراهيمُ الخليلُ وتركها، فنادتْ عليه، قالت: يا إبراهيم! يا إبراهيم! فلم يلتفتْ، يا إبراهيمُ، فالتفتَ إليها، فقالت: آللهُ أمرك؟ أي: هل هذا وحيٌ مِن الله، أم أمرٌ مِن عندكَ أنت؟ فقال: نعم، فقالتْ بلسانِ الواثقةِ بالله، قالت مِن قلبها: إذنْ لا يُضيِّعَنَا، وفي لفظٍ آخر قالت: إلى مَن تكلُنا؟ فقال: إلى الله، قالت: رضيتُ.

تأمَّلْ عبدَ الله، وتأمَّلي أمةَ الله؛ لا بدَّ أن نَخجَلَ مِن أنفسنا، ونَخجَلَ مِن هذهِ المرأةِ الصَّالحة الَّتي ابتلاها اللهُ بأنواعِ الابتلاءِ الخمسة، الَّتي ذكرها في قوله:

{وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ} أيُّ خوفٍ بعد أن تكونَ وحدَها في الصَّحراء؟! {وَالْجُوعِ} أيُّ جوعٍ بعد أن لا يكونَ معها إلَّا القليلُ مِن التَّمر؟! قال: {وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ} لا مالَ معها، {وَالْأَنفُسِ} كانتْ مع إبراهيمَ وإسماعيلَ ثلاثةً، ثمَّ أصبحا اثنينِ فقط، قال: {وَالثَّمَرَاتِ} ولا ثمرة تُوجَدُ في مكَّة.

فلمَّا أيقنتْ بالله، ووثقتْ بالله، وأحسنتْ ظنَّها باللهِ -عز وجل-؛ نصرها الله، فأنزلَ جبريلَ مِن السَّماءِ السَّابعة؛ ليضربَ لها الأرضَ ويفجر لها مِن الأرضِ ينبوعًا، فجرى لها ماءُ زمزم، وأتى إليها بقبيلةٍ كاملةٍ بدلَ رجلٍ واحد، أتى إليها بقبيلةِ جُرْهُمَ العربيَّةِ ليسكُنُوا عندها، ويؤنِّسَهَا اللهُ -سبحانه وتعالى- بهم.

فيا أخي في الله، ويا أختي في الله؛ هكذا نصبر، ننظرُ إلى النبيِّ ﷺ الَّذي ما بقيتْ مصيبةٌ إلَّا وحلَّتْ به، وننظرُ إليه -بأبي هو وأمِّي وروحي والدُّنيا كلِّها- كيف صبر؟ وكيف ثبت؟

لقد أوذيَ نبيُّنا، وحوربَ نبيُّنا، وجُرِحَ نبيُّنا، وحُوصِرَ نبيُّنا، وجاع نبيُّنا، وفقد نبيُّنا الأصحابَ والخلَّانَ والأحباب، بكى، نعمْ بكى -عليه الصلاة والسلام- وقال: (هَذِهِ رَحْمَةٌ)[١]، ولكنَّه لم يزدْ على ذلك، وتعلَّقَ بربِّه -سبحانه وتعالى- فنصرهُ اللهُ، ورفع شأنَه، وجعله خيرَ خلقِهِ أجمعين، صلَّى اللهُ عليه في الأوَّلينَ والآخرين.

انظرْ أخي في الله، وانظري أختي في الله إلى الأنبياءِ والمرسلينَ: كيف كُذِّبُوا، وكيفَ حُورِبُوا وكيفَ قُتِلَ منهُمْ مَن قُتل! لقد نُشِرَ زكريًّا -عليه الصلاة والسلام- بالمِنشَارِ إلى نصفينِ، وذُبِحَ الحصورُ يحيى بالسِّكِّينِ، لقد أُخْرِجَ عيسى ابنُ مريمَ -عليه الصلاة والسلام- من عندِ النَّاسِ إلى الصَّحاري، ليعيشَ مع الوحوشِ، لقد أُلْقِيَ في النَّارِ إبراهيمُ -عليه الصلاة والسلام- ثمَّ أخرجوه وهاجرَ في سبيلِ اللهِ -عز وجل-، لقد ابتُلِيَ بالمرضِ أيُّوبُ، وكُذِّبَ واستُحْقِرَ واستُهزِئَ بنوحٍ -عليه الصلاة والسلام-.

انظروا إلى الصَّحابةِ الأكارمِ -رضي الله عنهم وأرضاهم-: كيفَ جاعوا وأصابهُمُ الفقر والمرض، وكيفَ قُتِلُوا، وكيفَ أُسِرُوا، وكيفَ جُرِحُوا!

هذا خبيبُ بنُ عديٍّ، أمسكَهُ المشركونَ وعلَّقوهُ على جذعِ نخلةٍ؛ ليضربوهُ بالرِّماحِ والسِّهامِ ويقتلُوهُ، وهم يستهزئونَ به ويَشْتَفُونَ به، فقالَ بلسانِ الصَّابرينَ الواثقينَ باللهِ ربِّ العالمين، قالَ وهو في هذهِ الحال:

ولستُ أبالي حينَ أُقتَلُ مسلمًا *** على أيِّ شِقٍّ كانَ للهِ مصرعي
وذلكَ في ذاتِ الإلهِ وإنْ يَشَأْ *** يُباركْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

ثمَّ أَختِمُ الكلامَ بذكرِ أركانِ الصَّبر؛ حتَّى نحقِّقَها ونكونَ مِن الصَّابرينَ الفائزينَ يومَ القيامة.

إنَّ للصَّبرِ ثلاثةَ أركان:

[١] رواه البخاري.

أمَّـا الـركنُ الأوَّلُ؛ فهـو صـبرُ القلب، وهـو أن تحبسَ قلبـكَ، وتحبسي قلبـكِ عن سـوءِ الظَّنِّ بالله، وتحسـنَ الظَّن بالله -سـبحانه وتعـالى-، وتثـقَ بالله، وتعلمَ علمَ اليقين أنَّ اللهَ لمَّا قـدَّر لكُمْ هـذا القَـدَرَ بهـذه المصيبة؛ إنَّمـا أراد لكُمْ خـيرًا في الـدُّنيا والآخـرة؛ يقـولُ اللهُ -عـز وجل- في الحديثِ القدسيِّ: {أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ عَبْدِي بِي مَا شَاءَ}[١].

فأَحْسِنُوا ظنَّكُمْ بالله -عـز وجل-، واحبسـوا قلـوبَكُمْ وامنعوها مِن أن تُسِيءَ الظَّنَّ بالله، واملؤوها بالثِّقـةِ واليقينِ بالله -سـبحانه وتعـالى-؛ يقـولُ عبـدُ اللهِ بنُ مسـعودٍ -رضي الله عنـه وأرضاه-: "الـصَّبرُ نصفُ الإيمان، واليقينُ الإيمانُ كلُّه".

وأمَّا الـرُّكنُ الثَّاني للصَّبر؛ فهـو صبرُ اللِّسـان، وذلك بحبسِـهِ ومنعِهِ عن قـولِ كلامٍ فيـه إشـارةٌ أو فيه تصريحٌ بـالجزعِ مِن المصيبة، وإطلاقِهِ في ذكـرِ الله -عـز وجل-، ودعـاءِ اللهِ -عـز وجل-، وبثِّ الهمومِ والشَّكوى إلى الله.

لقـد رأى نبيُّنـا ﷺ ولـدَهُ إبـراهيمَ، ففاضـتْ روحُ إبـراهيمَ إلى اللهِ وهـو طفـلٌ صـغيرٌ بلـغَ السَّنتَينِ، فبكى نبيُّنـا -عليـه الصـلاة والسـلام- ولم يـزدْ على قولـه: (إنَّ القلبَ لَيَحـزَنُ، وإنَّ العَيْنَ لَتَـدْمَعُ، وإنَّا على فراقِكَ -يا إبراهيمُ- لمحزونـون، ولا نقـولُ إلَّا مَا يرضي ربَّنـا)[٢] {إنَّا لله وإنَّا إليهِ راجعونَ}[٣].

والـرُّكنُ الأخيرُ الـرُّكنُ الثَّالثُ للصَّبر: هـو صبرُ الجـوارح، وذلك بأن تحبسـوها وتمنعوهـا عن فعـلِ أهـلِ الجاهليَّـة مِن لطمِ الخـدود وشـقِّ الجيـوب ونثـرِ الرَّماد، فعـلِ مَـا يُغضِـبُ اللهَ تعـالى مِن غيرِ ذلك مِن أفعـالِ الجاهليَّـة، وأن تُطْلِقُـوهَـا في التَّقـرُّب إلى الله، وأن تُطْلِقُـوهَـا في قراءةِ القرآن والصَّلاةِ والصِّيامِ والذِّكرِ وفعلِ الطَّاعاتِ الَّتي تثبِّتُ عندَ المصائب.

---

[١] رواه الطـبراني في مسند الشـاميين. قال الحافظ العراقي: أخرجـه ابْن حبَان من حَـدِيث وَاثِلَـة بن الْأَسْقَع وَهُوَ فِي الصَّـحِيحَيْنِ من حَـدِيث أبي هُرَيْـرَة دون قَوْله: "فليظن بِي مَا شَاءَ".

[٢] رواه البخاري ومسلم بنحوه.

[٣] هذه زيادة من المتحدث لم ترو عن أحد.

أسـأَلُ اللهَ العظيمَ ربَّ العـرشِ العظيم؛ أن يعـافيَني وإيَّـاكُمْ مِن كلِّ بليَّـة، وأن يرزقَـني وإيَّـاكُمْ -إذا حلَّتْ بنـا المصـائبُ- الصَّبرَ عليها، والثَّبـاتَ والأجـرَ يـومَ القيامـة؛ إنَّـه وليٌّ ذلـك والقادرُ عليه.

الحلقة الثامنة عشرة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، إله الأوَّلين والآخرين، وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على عبده ورسوله النبيِّ الأمين، وعلى آله وأصحابه الطَّيبينَ الطَّاهرين، ومَن اتَّبعهُمْ بإحسانٍ إلى يوم الدِّين؛ أمَّا بعد:

فأسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ؛ أن يُذهِبَ عنِّي وعنكُمْ كلَّ همٍّ وغمٍّ، وأن يُذهِبَ عنِّي وعنكُمْ كلَّ ضيق؛ إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه، ثمَّ أمَّا بعد:

فإنَّ حديثي إليكُمْ عن مشكلةٍ يعاني منها كثيرٌ مِن المسلمين، وهي مشكلةُ تسلُّطِ الجنِّ بواسطةِ السَّحرة -أخزاهم الله وقبَّحهم-، هذهِ المشكلةُ الَّتي تَعصِفُ بأغلبِ البيوتِ في هذهِ الأيَّام، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله!

وخاصَّةً سحرُ الصَّرف: صرفُ الزَّوجِ عن زوجه، وصرفُ الابنِ عن أمِّه، وصرفُ الحبيبِ عن حبيبِهِ.

وسحرُ التَّخييل: الَّذي يُخيَّل فيه إلى المرءِ أنَّه يرى أشياءَ وليستْ موجودة، أو يرى أشياءَ على غيرِ حقيقتها، كمَن ترى وجهَ زوجِها على شكلِ صورةِ حمار، أو ترى وجهَ أمِّ زوجِها على شكلِ أفعى تريدُ أن تعضَّها وتبُثَّ السُّمَّ في جسدها، وهذا الأمرُ -ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله- قد ظهرَ وانتشر، وإلى الله المشتكى!

لذلك أحببتُ أن أرسلَ إلى كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ هذه الكلمات، وأريدُ مِن الجميعِ أن يستمعَ إلى الكلماتِ هذهِ بأذنه وقلبه؛ حتَّى يستقرَّ الكلامُ في القلب، وحينئذٍ يحصلُ النَّفع.

أمَّا الأمرُ الأوَّلُ؛ فلا بدَّ أن نبيِّن: مَا هو حكمُ السِّحر؟

إنَّ السِّحرَ كفرٌ، وإنَّ السَّاحرَ والسَّاحرةَ كفَّارٌ مرتدُّونَ عن هذا الدِّين، بنصِّ قولِهِ -سبحانه وتعالى-: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} [سورة

البقرة: ١٠٢]، وقولِهِ: {وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ} [سورة البقرة: ١٠٢]، وقولِهِ: {وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩)} [سورة طه].

والأمرُ الآخر: فما هو حدُّ السِّحرِ في دينِنَا، في دينِ التَّوحيدِ دينِ الإسلامِ، دينِ ربِّ العالمين؟

إنَّ حدَّ السَّاحرِ في دينِنَا أن يُضربَ عنقُهُ بالسَّيف، كما قالَ النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- في الحديثِ الَّذي رواهُ التِّرمذيُّ والحاكمُ والدَّارقطنيُّ عنْ جندب -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله ﷺ: (حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ)[١].

وكما صحَّ عن نبيِّنا -عليه الصلاة السلام- أنَّه قال: (مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ)[٢]، وكما ثبتَ عن عمرَ بنِ الخطَّابِ -رضي الله عنه وأرضاه- أنَّه عمَّم كتابًا إلى كافَّة الولاياتِ لمَّا كان خليفةً، وفيه: "اقتُلُوا كلَّ ساحر"، وكانَ لابنتِهِ أمِّ المؤمنينَ حفصةَ جاريةٌ قتلتْهَا لمَّا سحرتْ لها، هذا كلُّه يبيِّنُ أنَّ حكمَ السَّاحرِ وحدَّهُ في دينِنَا القتلُ.

واعلم أخي في الله، واعلمي أختي في الله؛ أنَّ مِن فوائدِ قتلِ السَّاحرِ وقتلِ السَّاحرة أنَّه إذا سُفِكَ دمُه؛ حُلّ السِّحرُ عمَّن سَحَرَ له أو سَحَرَتْ لهُ تلك السَّاحرةُ النَّجسة.

والأمرُ الآخرُ الَّذي نريدُ أن نبيِّنَهُ ها هنا: مَا هو واجبُ المسلمِ تجاهَ السَّحرةِ والسَّاحراتِ والسِّحر؟

إنَّ واجبَ كلِّ مسلمٍ وكلِّ مسلمةٍ تجاهَ السَّحرةِ والسَّاحراتِ أربعةُ أمور:

أمَّا الأمرُ الأوَّل: فهو أن يعتقدَ بقلبه أنَّ السِّحرَ كفر، وأنَّ السَّاحرَ والسَّاحرةَ كفَّارٌ مرتدُّون، وأنْ يملأ قلبَهُ ببغضِهِمُ البغضَ الشَّديد.

---

[١] قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث من قبل حفظه، وإسماعيل بن مسلم العبدي البصري، قال وكيع: هو ثقة، ويروي عن الحسن أيضا، والصحيح عن جندب موقوفا.والعمل على هذا الحديث عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، وهو قول مالك بن أنس. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، وإن كان الشيخان تركا حديث إسماعيل بن مسلم، فإنه غريب صحيح.

[٢] رواه البخاري.

والأمرُ الثَّاني: أن ينطلقَ لسانه بتكفيرِهم وتقبيحِهم وسبِّهم وإظهارِ عوراتِهم وكشفِ حقيقتِهم للمسلمين.

والأمرُ الثَّالثُ: أن يسعى بكلِّ جوارحِهِ لإزالتِهم، ويُظهِرَ لهُمُ العداوة، ويُظهِرَ لهُمُ الحربَ الشَّديدة، ويسعى لإزالةِ السِّحرِ وإزالةِ السَّحرة.

والأمرُ الرَّابع: أنَّ هذا المسلمَ وهذهِ المسلمةَ إنْ كانوا يعيشونَ في دارِ دولةِ الإسلام -أعزها الله- دارِ الإسلام؛ أن يُبلِّغَ عن السَّاحرِ والسَّاحرةِ الإمامَ أو مَن ينوبُ عنه؛ حتَّى يُنفِّذُوا فيهِمْ حكمَ الله -عز وجل-.

وإنْ كانَ هذا المسلمُ أو تلك المسلمةُ يعيشونَ إلى الآن في دارِ الكفر وهُمْ مستضعَفُونَ؛ أن يبادروا ويباشروا قتلَ السَّاحرِ والسَّاحرة؛ لأنَّهُمْ مِن أئمَّة الكفر، كما قالَ اللهُ -عز وجل-: {فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ (١٢)} [سورة التوبة].

ثمَّ بعد هذا نُبيِّن: كيفَ نحلُّ السِّحرَ عنِ المسحور، سواءً كانَ المسحورُ رجلًا أوِ امرأةً، وهو يُعَانِي، وهي تُعَانِي؟

فالزَّوجُ يعاني أنَّه إذا أرادَ أن يأتيَ الزَّوجةَ؛ يُمسَكُ عنها، والزَّوجةُ تعاني أنَّها تُبغِضُ زوجَها، وإذا دَخَلَ رأتْهُ على صورةِ حمار! والرَّجلُ يعاني مِن مشاكلَ عظيمةٍ في بيته، والزَّوجةُ تعاني مِن مشاكلَ عظيمةٍ مع أمِّ الزَّوجِ وأخواتِهِ؛ لأنَّها تراهُمْ أعداء! وهذا كلُّه بسببِ السِّحر، فكيفَ نحلُّ السِّحرَ عنِ المسحور؟

إنَّ حلَّ السِّحرِ عنِ المسحورِ؛ له طريقانِ مشتهرانِ عندَ النَّاس:

أمَّا الأوَّل؛ فهو كُفْرٌ وردَّةٌ عنِ الدِّين، وأمَّا الثَّاني؛ فهو ما دلَّ عليه القرآنُ وسنَّة نبيِّنا ﷺ.

أمَّا الأوَّل؛ فهو حلُّ السِّحرِ بالسِّحر، وهو مَا يُعرَفُ بالنُّشرَة، وهذا الأوَّلُ لا يقومُ به إلَّا ساحر، ولا يفعلُه إلَّا كافرٌ مرتدٌّ عن هذا الدِّين، يَتقرَّبُ إلى الشَّيطانِ عدوِّ الله -عز وجل-، وقد سئلَ نبيُّنا ﷺ كما في مسندِ الإمامِ أحمدَ وسننِ أبي داودَ -رحمهما الله تعالى- عن جابرٍ -

رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ -عليه الصلاة والسلام- سئلَ عنِ النُّشرةِ، فقال: (هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ)[١]، فحلُّ السِّحرِ بالسِّحرِ كفرٌ أيضًا، وردَّةٌ عنْ هذا الدِّين.

وأمَّا الثَّاني: فهو الطَّريقُ الصَّحيح، وهو الطَّريقُ الَّذي دلَّ عليه القرآنُ الكريم، ودلَّت عليه سُنَّةُ نبيِّنا ﷺ، وهو حلُّ السِّحرِ بالرُّقيةِ الشَّرعيَّة.

وها هنا عدَّةُ أمور:

أمَّا الأمرُ الأوَّل: فإذا وجدنا السِّحرَ في مكانٍ معيَّن عن طريقِ تفتيشِ البيت، أو عنْ طريقِ اعترافِ السَّاحرِ أو السَّاحرةِ بعد إمساكهم، أو عنْ طريقِ نطقِ الجنِّ عند الرُّقية الشَّرعيَّة، فإذا وجدنا مكانَ السِّحر، ووجدنا السِّحرَ: نَحُلُّهُ بعدَ أنْ نقرأ عليه سورةَ الفلق وسورةَ النَّاس.

كما حصل هذا لنبيِّنا ﷺ، عندما سَحَرَهُ لَبِيدُ بنُ الأعصمِ -لعنه الله-: دلَّ اللهُ -عز وجل- نبيَّه ﷺ، أنَّ السِّحرَ موجودٌ في بئر، فأخرجه النبيُّ ﷺ، وقرأ عليه الرُّقيةَ وحلَّه، ثمَّ قام النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- ومَا به بأسٌ.

فكذلك أنتَ أخي، وكذلك أنتِ أختي: إنْ وجدتُمُ السِّحرَ في البيتِ أو في أيِّ مكان: فحُلُّوهُ بعد أن تقرؤوا عليه سورةَ الفلقِ ثلاثًا، وسورةَ النَّاسِ ثلاثًا مع النَّفث، حلُّوا عُقَدَهُ عُقدَةً عُقدَةً، وانفُثُوا في كلِّ عُقدَةٍ، وإنْ وجدتُمْ ورقةً فيها طلاسمُ أو كتاباتٌ كفريَّة: فحلِّلوا هذهِ الكتاباتِ بماءٍ مُرقًّى بسورةِ الفلقِ وسورةِ النَّاسِ وآيةِ الكرسيِّ وغيرِهَا مِن آياتِ الرُّقية.

وأمَّا الأمرُ الآخر: فإذا كانَ السِّحرُ موجودًا في بطنِ المسحور، واكتشفنا وجودَهُ في المعدة: فقمْ -أخي- بترقيةِ ماءٍ أو ترقيةِ زيتٍ، كزيتِ الزَّيتونِ أو زيتِ الخِرْوَعِ أو غيرِه، ثمَّ اجعلوا هذا المسحورَ أو تلك المسحورةَ يشربُهُ أو تشربُهُ: حتَّى يحصلَ لديهِمُ استفراغٌ، وتَخرُجَ المادَّةُ السِّحريَّةُ من أمعائِهِمْ، ثمَّ نُكمِلُ عليهِمُ الرُّقية.

---

[١] قال الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عقيل بن معقل- وهو ابن منبه اليماني- فقد روى له أبو داود، وهو ثقة.

والأمرُ الآخر: لا بدَّ أن تكونَ الرُّقيةُ بكتابِ الله -عز وجل- أو بما ثبت عنْ نبيّنا ﷺ مِن أدعيةِ الشّفاءِ الخاصَّةِ بالسِّحرِ أو العينِ أو الشّفاءِ بصورةٍ عامَّة.

والأمرُ الآخر: أن تكونَ الرُّقيةُ بلغةٍ عربيَّة، أو بما يُفهَمُ ويُعرَفُ معناه مِن غيرِ العربيّ.

ولكنْ أخي في الله، وأختي في الله؛ أنبِّهُكُمْ إلى أمرٍ مهمٍّ: أنَّ عدوَّ اللهِ السَّاحرَ وهذا الجنَّ أصبحَ يعملُ لدى السَّحرةِ والسَّاحراتِ؛ لم يستطعْ مِن التَّأثيرِ عليكُمْ إلَّا بإذنِ اللهِ -عز وجل-، ثمَّ لأنَّ لديكُمْ خللًا، إمَّا في الاعتقادِ، وإمَّا في الحلالِ والحرامِ، وإمَّا في الذُّنوبِ والمعاصي، وإمَّا في البعدِ عنِ اللهِ -عز وجل-، وإمَّا عنْ مقارفةِ الفواحشِ والمنكراتِ، مِن هنا دخلَ عدوُّ الله.

فإذا أردتُّمْ علاجَه؛ لا بدَّ أن تُغلِقُوا عليه الأبوابَ الَّتي دخل منها، وذلك عن طريقِ التَّمسُّكِ بالتَّوحيد، بعدَ أن تتعلَّموه مِن كتابِ اللهِ -عز وجل- ومِن سنَّة رسولِهِ ﷺ.

ومَن أرادَ منكُمْ أن يستفصلَ أكثر؛ فعليه بكتابِ فتحِ المجيدِ بشرحِ كتابِ التَّوحيدِ، للعلَّامةِ الشَّيخِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ حسنٍ آلِ الشَّيخِ -عليه رحمة الله-؛ فقد فصَّل فيه التَّوحيد، وأجاد فيه وأفاد.

والأمرُ الآخر: أن تتمسَّكوا بالقرآنِ الكريمِ الَّذي قال عنه ربُّ العالمين: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢)} [سورة الإسراء]، لم؟ لأنَّ الهاجرَ للقرآنِ هدفٌ سهلٌ للشَّيطان.

والأمرُ الآخر: أن تتمسَّكوا بسنَّة نبيّنا ﷺ في كلِّ أمرٍ: قليلٍ أو كثيرٍ صغيرٍ أو كبير؛ لأنَّ المبتعدَ عنِ السُّنَّة والمخالفَ للسُّنَّة والمقارفَ للبدعة؛ هدفٌ سهلٌ للشَّيطان.

والأمرُ الآخر: أن تُكثِرُوا مِن دعاءِ اللهِ -سبحانه وتعالى- بأن يفرِّجَ عنكُمْ هذا الكرب، وأن يرفعَ عنكُمْ هذا المرض، نعم؛ فالسِّحرُ مرضٌ يصيبُ مَن شاءَ اللهُ -عز وجل- أن يُصِيبَهُ،

فادعوا اللهَ الَّذي بيدِهِ ملكوتُ كلِّ شيء، وهو القادرُ على كلِّ شيء؛ أن يشفيَكُمْ مِن هذا المرض.

والأمرُ الآخر: أن تجتهدوا في طاعةِ اللهِ -سبحانه وتعالى- والتَّقرُّبِ إلى اللهِ -سبحانه وتعالى- والإكثارِ من النَّوافلِ والتَّطوُّعات، وخاصَّةً في السِّر، وخاصَّةً لمَّا تكونونَ وحدكُمْ في بيوتكُمْ؛ لأنَّ اللهَ -عز وجل- قالَ في الحديثِ القدسيِّ: {مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا}[١]، وجاء أنَّه -سبحانه وتعالى- قال في الحديثِ القدسيِّ: {مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ}[٢].

مَن وليُّ الله؟ وليُّ اللهِ الَّذي يتمسَّكُ بالقرآنِ والسُّنَّة في السِّرِّ والعلن، في القولِ والعملِ، في القليلِ والكثير، في الصَّغيرِ والكبير، هذا وليُّ الله، هذا الَّذي مَن عَادَاهُ؛ آذنَهُ اللهُ -عز وجل- بحربٍ منه، سواءً كانَ العدوُّ إنسيًّا أو جنيًّا.

هذا هو الطَّريقُ أيُّها الإخوة.

ثمَّ إنِّي أنصحُ كلَّ مسلمٍ ومسلمةٍ عافاهُمُ اللهُ -عزوجل- مِن السِّحرِومِن المسِّ ومِن غيرِه بنصيحتين:

أمَّا الأولى: فَاحْمَدُوا اللهَ -عز وجل- الَّذي عافاكُمْ، وقولوا عندما تَرَوْنَ أيَّ مسحورٍ أو مسحورةٍ أو ممسوسٍ: "الحمدُ للهِ الَّذي عافانا ممَّا ابتلاكَ به، وفضَّلنا على كثيرٍ ممَّن خَلَقَ تفضيلًا".

وأمَّا النَّصيحةُ الثَّانيةُ: فيا إخواني، ويا أخواتي؛ حصِّنوا أنفسَكُمْ، وحصِّنوا ذرِّيَّاتِكُمْ، وحصِّنوا بيوتَكُمْ، وهذا التَّحصينُ يكونُ -أوَّلًا- بالمحافظةِ على أذكارِ الصَّباحِ بعدَ الفجر، وأذكارِ المساءِ بعدَ العصر، وذكرِ اللهِ -عز وجل- عمومًا عندَ الطَّعامِ وعندَ الشَّرابِ وعند

---

[١] رواه البخاري.

[٢] رواه البخاري.

النَّومِ وعند الاستيقاظِ وعند الدُّخولِ والخروج، والأمرُ الآخر: بالبعدِ عنِ الذُّنوبِ والمعاصِي والفـواحشِ والمنكـراتِ الَّـتي هي بمثابـةِ البـابِ لأجسـادكُمْ، يفتحُـهُ عـدوُّ الله، ويَـدخُلُ إلى أجسادكُمْ مِن خلاله.

والأمـرُ الآخـر -وهـو المهمُّ جـدًّا-: أخرجـوا المنكـراتِ مِن بيـوتكُمْ، هـذه المنكـراتُ الَّـتي في بيوتكُمْ هي سببُ دخولِ الشَّيطانِ إلى بيوتكُمْ، وهي سببُ تمكُّنِهِ مِن العملِ في بيوتكُمْ.

وهـذهِ المنكراتُ منهـا: الصُّـورُ الَّتي في الألبوماتِ للـذِّكرياتِ وغيرِهـا، والصُّـورُ المعلَّقـةُ على الجـدرانِ لـذواتِ الأرواح، والتُّحفيَّـاتُ الَّـتي على شـكلِ حيوانـاتٍ أو طيـورٍ أو أسـماكٍ أو حشراتٍ مِن ذواتِ الأرواح، والدُّمى الَّتي على شكلِ أطفالٍ حقيقيّين، ولها عيونٌ تَشْبَهُ العينَ الحقيقيَّة، وأبو المنكراتِ كلِّها وهو الدِّشُّ الَّذي هو مفتاحٌ لعملِ الشَّيطانِ في كلِّ بيت.

إنَّ البيتَ الَّذي فيه دشٌّ ينشرُ المسلسلاتِ والأغانيَ والفجورَ والسُّفورَ والمنكراتِ، هـذا البيتُ الَّذي فيـه الدِّشُّ؛ مقرٌّ مِن أعظمِ وأفضلِ المقرَّاتِ للشَّيطان، فـأخرجوا هـذا الـدِّشَّ مِن بيـوتكُمْ حتَّى يخـرجَ الشَّـيطانُ، ولا تُبْقُـوهُ؛ لأنَّـه إنْ بَقِيَ بَقِيَ الشَّـيطانُ وتمكَّن مِن العبثِ بكُمْ وبأهاليكُمْ كيف يشاء.

والأمرُ الآخر: احرصُوا على أن يكونَ لكُمْ في بيوتكم حلقةُ ذكرٍ كلَّ يومٍ أو شبهَ كلِّ يوم، وذلـك بـأن يَجمَـعَ الـزَّوجُ أبنـاءهُ وبناتِـهِ وزوجتَـه، أو تَجمَـعَ الأمُّ أبناءهـا وبناتِهَـا في حلقـةِ ذكـرٍ يذكرونَ اللهَ -عز وجل-، تُقْرِئُهُمُ القرآنَ أو تقرئهُمُ السُّنَّة، أو تقرأ لهُمْ كتابًا في سيرةِ نبيِّنا ﷺ أو كتابًا في قصصِ الصَّالحينَ أو غير ذلك، المهمُّ حلقةُ ذكرٍ يُذكَرُ فيها اللهُ -عز وجل- لتفوزَ هذهِ الأمُّ بالفضائلِ الَّتي أخبرَ عنها النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- في قوله: (مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ تعالى، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)[١].

---

[١] رواه مسلم وأحمد وأبو داود واللفظ له. قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

فإذا كنتُمْ تذكرونَ اللهَ في بيوتكُمْ، وقد أزلتُمْ مِن بيوتكُمُ الصُّور، وأزلتُمُ التَّماثيلَ الَّتي هي التُّحفيَّاتُ والدُّمى وغيرُها، إن أزلتُمُ الصُّورَ والتَّماثيلَ وذكرتُمُ اللهَ -عز وجل-؛ دخلتِ الملائكةُ هذا البيتَ، وخرجتْ منه الشَّياطين.

أمَّا إذا كانَ البيتُ لا يُذكَرُ فيه اللهُ -عز وجل- وفيه صُوَرٌ أو تماثيلُ؛ فالملائكةُ لا تَدخُلُ بيتًا فيه صورةٌ ولا تمثالٌ، والبيتُ الَّذي لا تدخلُهُ الملائكةُ مقرٌّ ومستقرٌّ للشَّياطينِ وأوليائِهِمْ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله.

ثمَّ أختمُ الكلامَ بأنَّ مِن أعظمِ التَّحصينات: أن تُحَافِظُوا على الصَّلواتِ الخمسِ في وقتِهَا، للرِّجالِ وللنِّساء، ومع الجماعةِ في المسجدِ للرِّجال، وخاصَّةً صلاة الفجر، يقول النبيُّ ﷺ: (من صلَّى الفجرَ في جماعةٍ؛ كان في ذمَّة الله حتَّى يمسي)[١].

أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ بكلِّ أسمائه الحسنى وبكلِّ صفاتِهِ العُلَا: أن يُهلِكَ كلَّ ساحرٍ وساحرة، وأن يفكَّ السِّحرَ عنْ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ وقع لهُمُ السِّحر، وأن يحفظَ كلَّ مسلمٍ وكلَّ مسلمةٍ عافاهُمْ مِن السِّحر، وأن يُدِيمَ عليهِمُ العافيةَ في الدُّنيا والآخرة؛ إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه، وجزاكُمُ اللهُ خيرًا، وبارك فيكُمْ.

---

[١] لم يروه أحد بهذا اللفظ، وأصل الحديث عند مسلم: "مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ، فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ" وروى الطبراني في الكبير: "مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ كَانَ فِي جِوَارِ اللهِ يَوْمَهُ، "وفي الأوسط: "مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ حَتَّى يُمْسِيَ".

لا تنسوا إخوانكم من الدعاء



فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ

